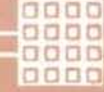
أعلام المسلمين

٧



عبد الحميد طهماز



دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين
٧

أنس بن مالك

الخادم الأمين والمحب العظيم

١٠ ق هـ - ٩٣ هـ

تأليف
عبد الحميد طهماز

دار القلم
دمشق

الطبعة الخامسة
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

أنس بن مالك ﷺ

الخادم الأمين والمحب العظيم

هذا الرجل

قال أنس:

دخل علينا رسول الله ﷺ، فأتته أمي بتمر وسمن، فقال: «أعيدوه فإني صائم» ثم قام في ناحية البيت فصلى بنا صلاة غير مكتوبة، فدعا لأمي ولأهل بيتها، فقالت أمي: يا رسول الله خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلاّ دعا لي به، ثم قال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة» ولقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة.

«ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أنس بن مالك».

أبو هريرة الصحابي

لما مات أنس رضي الله عنه قال مورق العجلي التابعي: ذهب اليوم نصف العلم.

قيل له: كيف ذلك؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا له: تعال إلى من سمعه من النبي ﷺ.

«أنس بن مالك، الإمام، المفتي، المقرىء، المحدث، راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وقرابته من النساء، وتلميذه وتبعه، وآخر أصحابه موتاً.

روى عن النبي ﷺ علماً جماً وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعدة من الصحابة، وروى عنه خلق عظيم».

الإمام الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدّمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد واجه الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله ﷺ مسؤوليات جساماً، قاموا بتحملها خير قيام، وكانوا على مستوى تلك المسؤوليات تضحية وتعقلاً، ولم يسبق لجيل من الأجيال أن حمل مثل ما حملوا وعانى مثل ما عانوا، ورغم ذلك أثمرت جهودهم وآتت أكلها في زمن يسير، فكانت قطوفاً دانية، جنى كل الناس من جناها، وسعدت البشرية في ظلالها قروناً متعددة، ولا تزال إلى الآن، رغم بعدها عنها، تستروح بما يخلص إليها من فوحها، وتنتشي بما بقي في أردانها من عبيرها.

وكان نشر الإسلام وحفظه أعظم مسؤولياتهم وأجل أعمالهم، وقد استهلك نشره وإزالة العوائق من طريقه القسم الأعظم من جهودهم رضي الله عنهم، وشارك في هذا

شيوخهم وشبابهم ونساؤهم، وقضى الكثير منهم على الطريق شهيداً.

وأما حفظه وإيصاله إلى التابعين، فقد وقع القسم الأعظم منه على كاهل شباب الصحابة رضي الله عنهم، فهم الذين عاشوا ـ بعد أن هدأت حركة الفتح ـ فترة من الزمن صرفوها كلها لرفع منارات الإسلام الفكرية، بعد أن ارتفعت مناراته السياسية في المشارق والمغارب.

وإن لهذا العمل من الخطورة والأهمية ما يجعله يوازي العمل الأول ويساويه، فهو الذي حفظ الإسلام وبيّن أصوله وفرَّعَ فروعه، وبه أثمرت ثماره وأشرقت أنواره.

وكان ﷺ قد أدرك بنظره السديد وفكره الرشيد الدور العظيم الذي سيؤديه صغار السن من الصحابة رضي الله عنهم في هذا المضمار، فقربهم إليه مهتماً بهم ومعتنياً بشأنهم، فكان لهم مربياً ومعلماً ومرشداً، حتى كان منهم بعد ذلك أمثال: علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وعائشة، وابن الزبير، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد الخدري، وابن مسعود، وغيرهم من علماء الصحابة وفقهائهم الذين وقعت عليهم مسؤولية الأمانة العظمى، فحملوها وأدوها لمن بعدهم خير أداء.

فهم أَمَنَة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ومعلموه الأول، وحملة لوائه وناشروه، فكل من أتى بعدهم عالة عليهم،

رضع من ثديهم وشرب من منهلهم.

فما أحرانا أن نتتبع آثارهم وأعمالهم، فنسجلها وننشرها بين الناس، فهي التاريخ الفكري الأول للإسلام، تبين لنا كيف انتشر وامتد فوق أنقاض الجاهلية، وكيف وقف يصارع في مضمار العلم، مدافعاً عن شرف الكلمة ومحافظاً على صفاء الحقيقة.

وأنس بن مالك رضي الله عنه واحد من هؤلاء، بل علمٌ بينهم، تتصل حياته بوشائج قوية بحياة سيدنا رسول الله ﷺ، لكون أنس خادمه الأمين الأول، الذي شرفه الله تعالى بخدمة نبيه عليه الصلاة والسلام عشر سنين، كما تتصل بتاريخ الإسلام السياسي والفكري بعده ﷺ، لأنه رضي الله عنه عاش ما يزيد على ثمانين سنة بعد وفاة النبي ﷺ، أمضاها كلها مجاهداً و معلماً.

وتتصل أيضاً بحياة الكثير من أعلام الصحابة، الذين نشأ أنس بينهم، فالكتابة في حياة أنس تتناول جانباً من حياة المصطفى ﷺ وسنته، كما تتناول حياة العديد من رجال الصحابة ونسائهم، ولذلك جاء هذا الكتاب عن حياة أنس حافلاً بجوانب كثيرة من حياته صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه وحياة الكثير من أصحابه.

ويمتاز أنس رضي الله عنه بأنه كان راوية مكثراً للأحاديث الشريفة والأخبار والآثار، وإن القارىء سيلاحظ أن حياته

وحياة من ترجموا معه ـ في معظمها ـ مأخوذة من مروياته، فلقد كان جل اعتمادي فيما كتبتُ، على ما رواه المحدثون عن أنس، ضمن قواعدهم العلمية الدقيقة في أصول الحديث لتمييز صحيح الأخبار عن سقيمها، ولم أجد حاجة للرجوع إلى كتب التاريخ، التي تحتاج أكثر أخبارها إلى التحقيق والتمحيص، إلاّ في حالات قليلة، فقد أغناني أنس الراوية عن كتب التاريخ.

ولا يمكن الفصل بين حياة أنس ومروياته، لذلك كنت عقدت العزم على نشر مسند أنس مع هذا الكتاب، لكن الناشر أبى علي ذلك، محتجاً بأن ذلك يخرج الكتاب عن موضوع السلسلة، وله بعض العذر في هذا، مما اضطرني إلى عزل المسند في كتاب مستقل، أرجو من الله سبحانه أن يوفقني إلى نشره.

وبعد:

إن كان أنس رضي الله عنه يرجو أن يلقى رسول الله ﷺ يوم القيامة، فيقول له: يا رسول الله خويدمك أنس[1]، فإني لأرجو بفضل الله ورحمته ومغفرته، ألا تحول ذنوبي دون فوزي بشفاعته ﷺ، وأن يثبتني ربي على الحق، ويتوفاني على الإيمان.

---

(١) انظر آخر فصل (أنس في ظلال النبي ﷺ).

اللهم آمين، وصلّ يا رب وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

حماة ١ - محرم - ١٣٩٤ هـ.
الموافق ٢٤ - ١ - ١٩٧٤ م.

الفقير إلى الله تعالى
عبدالحميد طهماز



أسـرَة كـريمـة

- بنو النجار
- أم سُليم (والدة أنس)
- أبو طلحة (زوج أم سُليم)
- البراء بن مالك (أخو أنس)
- أنس بن النضر (عم أنس)



أســرة كـريمـة

بنو النجار (خير أسر الأنصار):

هيأ الله تعالى لسيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، في نشأته البيئة الصالحة، فضلاً عن المحتد[1] الطيب.

فلقد نشأ في كنف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منذ أن تشرَّف بخدمته إلى أن توفي ﷺ وذلك من أعظم مناقبه رضي الله عنه.

أضف إلى ذلك الأسرة المسلمة الصالحة. التي تحدّر منها وعاش بين أفرادها، فهو أنصاري خزرجي نجاري، ولبني النجار ميزات كبيرة. فهم من أعرق البيوتات العربية في المدينة المنـورة. تنتهي نسبتهم إلى النجار واسمـه: تَيْمُ الله، بن ثعلبة، بن عمرو، بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، ابن عمرو، بن عامر[2].

وعمرو هو الذي أحس بقرب انهدام سد مأرب، فخرج

---

(١) المحتد: الأصل كما في القاموس.

(٢) سيرة ابن هشام.

من اليمن، وخرجت معه قبائل الأوس والخزرج وخزاعة وآل جفنة والأزد، فتفرقوا في البلدان، ونزلت الأوس والخزرج يثرب[1].

وهم أخوال عبد المطلب جد النبي ﷺ، فقد تزوج هاشم بن عبد مناف سلمى بنت عمرو، بن زيد، بن لبيد، بن حرام، بن خداش، بن عامر، بن غنم، بن عدي، بن النجار.

فللنبي ﷺ صلة سببية[2] بهم، ولما توفي أسعد بن زرارة ـ وهو أحد النقباء الاثني عشر الذين كفلوا قومهم أمام النبي ﷺ في العقبة الثانية، وكان نقيب بني النجار ـ جعل النبي ﷺ نفسه نقيباً لبني النجار. ففي سيرة ابن هشام: قال ابن إسحاق:

(وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري: أنه لما مات

---

(١) لا ينبغي تسمية المدينة بذلك ـ أي بيثرب ـ أخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى، هي طابة هي طابة» وتسميتها به مكروهة كراهة تنزيه، لأن هذا الاسم يشعر بالتثريب وهو اللوم والتعيير. انظر ردود على أباطيل.

(٢) المراد بالسبب القرابة السببية كالزوجية والمصاهرة، وبالنسب القرابة النسبية. انظر رد المحتار على الدر المختار.

أبو أمامة أسعد بن زرارة، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله ﷺ، فقالوا له: إنَّ هذا قد كان منا حيث قد علمت، فاجعل منا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم أخوالي وأنا بما فيكم، وأنا نقيبكم» وكره رسول الله ﷺ أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بني النجار الذي يعدّون على قومهم أنْ كان رسول الله ﷺ نقيبهم) اهـ.

ومن ميزات بني النجار أيضاً أن مبرك ناقة النبي ﷺ في نهاية الهجرة، كان بدار مالك بن النجار، حيث بنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجده وحجراته، فقد كان الأنصار يتزاحمون على ناقته صلى الله عليه وآله وسلم. كل واحد منهم يبغي نزول النبي ﷺ عنده، فكان ﷺ يقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى إذا وصلت إلى بني عدي بن النجار قالوا: يا رسول الله هَلُمَّ إلى أخوالك[1]، إلى العدد والعُدَّة والمنعة، فقال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها، فانطلقت حتى أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجده ﷺ، وهو يومئذٍ مِرْبَد[2] لغلامين يتيمين من بني النجار، وسأل رسول الله ﷺ بعد ذلك عن المربد لمن هو؟.

---

(١) الظاهر أن لآل النجار ثلاثة فروع، وهم: بنو عدي، وبنو مالك، وبنو مازن. وزوجة هاشم أم عبد المطلب كانت من بني عدي.

(٢) المربد: الموضع الذي يجفف فيه التمر.

فقال له معاذ بن عفراء: هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً، فأمر رسول الله ﷺ أن يبني مسجداً، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه[1].

ومن المعلوم أن أبا أيوب رضي الله عنه نجاري أيضاً، فهو الصحابي الجليل خالد بن زيد، بن كليب، بن عبد عوف، ابن غنم، بن مالك بن النجار، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها، ومات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية بن أبي سفيان[2].

وهذا يضيف منقبة أخرى إلى مناقبهم رضي الله تعالى عنهم، ولكن أعظم مناقب بني النجار كانت ثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم، وتفضيله لهم على سائر الأنصار. ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك عن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير». وقوله: «خير دور الأنصار» أي خير قبائلهم، وكانت كل قبيلة تسكن محلة، فتسمى تلك المحلة دار بني فلان، ولهذا جاء في كثير من الروايات (بنو فلان) من غير ذكر الدار، قال العلماء: وتفضيلهم على قدر سبقهم

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) المرجع نفسه.

إلى الإسلام ومآثرهم فيه، وفي هذا دليل لجواز تفضيل القبائل والأشخاص بغير مجازفة ولا هوى، ولا يكون هذا غيبة[1].

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد أنجبت هذه الأسرة الكريمة عدداً كبيراً من صحابة وصحابيات، كان لهم فضل كبير في حمل رسالة الإسلام ونشرها والاستشهاد تحت لوائها.

وكم كنت أتمنى أن أستقرىء أخبارهم لأكشف عن حبهم العظيم للنبي ﷺ، وإخلاصهم الكبير لرسالة الإسلام، وتضحيتهم من أجله بأنفسهم وأموالهم، ولكني خوف الإطالة اقتصرت على أقرباء أنس الأدنَين، ففي أخبار هؤلاء صورة رفيعة للخير العظيم الذي انطوت عليه هذه الأسرة الكريمة.

وهؤلاء الذين سأترجم لهم:

١ ـ أم سليم (والدة أنس).

٢ ـ أبو طلحة (زوج أم سليم).

٣ ـ البراء بن مالك (أخو أنس)

٤ ـ أنس بن النضر (عم أنس).

وسنبقى في معظم أخبارهم مع أنس بن مالك نستمع إليه وهو يحدثنا عنهم.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي.

أم سُلَيم

رضي الله عنها

اسمها ونسبتها:

اختلف العلماء في اسمها، وسبب ذلك شهرتها بكنيتها (أم سُليم) وهي نجاريّة، والدها: حَرامُ بن مِلحان، واسمه مالك بن خالد، بن زيد، بن حرام، بن جندب، بن عامر، ابن غنم بن عدي، بن مالك، ابن النجار[1].

قال ابن حجر: اسمها سهلة، ويقال رُميلة، ويقال: رُميثة، ويقال: أنيثة، ويقال مُليكة، وهي والدة أنس بن مالك، وزوج أبي طلحة الأنصاري، ويقال لها الغميصاء أو الرميصاء، ثبت ذلك في البخاري في حديث ابن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ قال:

«دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة»[2] وروى مسلم في صحيحه عن أنس أن النبي ﷺ قال:

---

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) المرجع نفسه.

«دخلت الجنة فسمعت خشفة، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان أم أنس بن مالك»[1].

إسلامها:

كانت أم سليم زوجة لمالك بن النضر في الجاهلية، وهو والد أنس، فلما جاء الله تعالى بالإسلام إلى المدينة أسلمت، وعرضت على زوجها الإسلام فغاضبها وخرج إلى الشام فهلك، فتزوجت بعده أبا طلحة، خطبها وهو مشرك فأبت عليه إلّا أن يسلم فأسلم[2]. وكان هذا قبل الهجرة. بعد العقبة الأولى وقبل الثانية، ويدل على ذلك أن أبا طلحة حضر العقبة الثانية.

قصة زواجها من أبي طلحة:

ولنستمع إلى أنس رضي الله عنه، وهو يقص علينا قصة زواج والدته من أبي طلحة. أخرج أحمد عن أنس رضي الله

---

(١) قال النووي في شرح الحديث: الخشفة، حركة المشي وصوته، والغميصاء، ويقال لها الرميصاء أيضاً، ويقال بالسين، قال ابن عبد البر: أم سليم هي الرميصاء والغميصاء والمشهور فيه الغين، وأختها أم حرام الرميصاء، ومعناهما متقارب، والرمص والغمص: قذى يابس وغير يابس يكون في أطراف العين، وهذا ـ أي الحديث الشريف ـ منقبة ظاهرة لأم سليم. أ هـ شرح مسلم باختصار.

(٢) تهذيب التهذيب.

عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه خطب أم سُليم رضي الله عنها ـ يعني قبل أن يسلم ـ فقالت:

ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض؟
قال: بلى.
قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟!
إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره.
قال: حتى أنظر في أمري.
فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله. فقالت: يا أنس زوج أبا طلحة. فزوجها[1].

وفي سنن النسائي عن أنس قال: خطب أبو طلحة أم سُليم، فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَدّ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فكان ذلك مهرها. قال ثابت ـ أحد رجال السند ـ: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أم سُليم: الإسلام[2]. فدخل بها فولدت له.

وتظهر في قصة زواجها بعض ملامح شخصيتها: صراحتها، وحماستها للإسلام، أضف إلى ذلك وفور عقلها وهي تخاطب أبا طلحة: ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض... الخ.

(١) أمرت ولدها أن يباشر عقد الزواج نيابة عنها.
(٢) أي كان مهرها الإسلام.

الزوجة الصالحة:

وإلى جانب ذلك فقد كانت - رضي الله عنها - مثالاً رفيعاً للزوجة الصالحة والمرأة الصابرة، تسعى جاهدة لإدخال السرور على زوجها، وتخفيف آلامه ومتاعبه. قال أنس: مات ابن لأبي طلحة من أم سُليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء، فقربت إليه عشاء، فأكل وشرب. فقال: ثم تصنّعت[1] له أحسن ما كان تصنّع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب[2] منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. قالت: فاحتسب ابنك.

قال: فغضب، وقال: تركتني حتى تلطَّختُ[3] ثم أخبرتني بابني؟!

فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان، فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لكما في غابر ليلتكما».

قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرُقُها طروقاً[4]، فدنَوا

(١) أي تزينت لزوجها، ومن السنة أن تتزين المرأة لزوجها.
(٢) أي كان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته.
(٣) إشارة إلى ما كان بينهما.
(٤) أي لا يدخلها ليلاً.

من المدينة فضربها المخاض[1]، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ، قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبستُ بما ترى. قال: تقول أم سُليم: يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد، انطلق فـانطلقنـا، قال: وضربها المخاض حين قدما فولدت غلاماً. فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ.

فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، قال: فصادفته ومعه ميسم[2]. فلما رآني قـال: «لعل أم سُليم ولدت» قلتُ: نعم. فوضع الميسم، قال: وجئتُ به فوضعه في حِجْره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت، ثم قذفها في في الصبي. فجعل الصبي يتلمظها[3]، قال: فقال رسول الله ﷺ:

«انظروا حُبَّ الأنصار التمرَ» قال: فمسح وجهه وسمّاه عبد الله[4].

---

(١) وجع الطلق والولادة.

(٢) الميسم: المكواة التي يكوى بها الحيوان ليتميز ويعرف.

(٣) أي يتتبع بلسانه بقيتها في فمه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه. وقال النووي في شرحه: وفيه استجابة دعاء النبي ﷺ، فحملت بعبد الله بن أبي طلحة في تلك الليلة، وجاء من ولده عشرة رجال علماء أخيار، وفيه كرامة ظاهرة لأبي =

وفضائل أم سُليم ـ كما تبدو في الحديث ـ كثيرة ،أهمها:

١ ـ صبرها وقوة إرادتها عند موت ولدها، خلافاً لما هو مشهور من جزع النساء في مثل هـذه المواقف وضعف إرادتهن.

٢ ـ تلطفها في إخبار زوجها في مصابه بولده، مما يدل على مدى تعقلها وذكائها.

٣ ـ تحملها الألم والمشقة لتحقيق رغبة زوجها، ليدخل المدينة مع النبي ﷺ.

٤ ـ معاملتها الطيبة لزوجها وحرصها على راحته وسروره.

٥ ـ حبها للنبي ﷺ، وخروجها معه إلى الجهاد رغم ثقل حملها.

هذه الفضائل جعلت منها المثال الصالح للزوجة التي ينبغي على زوجها أن يتمسك بها ويصر عليها. قال أنس: أراد أبو طلحة أن يطلق أم سُليم، فقال رسول الله ﷺ: «إن طلاق أم سُليم لَحَوب»[١].

= طلحة وفضائل لأم سليم، وفيه تحنيك المولود وأنه يحمل إلى صالح ليحنكه وأنه يجوز تسميته في يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله، وفيه تواضع النبي ﷺ. أ هـ باختصار والكرامة التي أشار إليها النووي هي ارتفاع الطلق عن زوجته بعد أن نزل بها المخاض لتحقيق أمنيته رضي الله عنه بدخول المدينة مع النبي ﷺ.

(١) الحوب: الإثم، والحديث رواه البزار، وفيه علي بن عاصم =

المجاهدة الكريمة:

شاركت أم سُليم رضي الله عنها في الجهاد وحضرت عدداً من الغزوات مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان جهادها في أول الأمـر ينحصر في مسـاعدة المجاهـدين وتـأمين حوائجهم وتضميد جراحهم، فإذا مـا أحسـت بالخطر حملت السلاح وتهيأت للدفاع عن نفسها ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سُليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى».

ولقد شهدت معركة أحد وثبتت مع زوجها أبي طلحة عندما أصيب المسلمون، يدل على ذلك قول أنس «ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم وإنهما لمشمّرتان أرى خدَم سوقهما، تنقـلان القِرَب على متُونهما ثم تفرغانه في أفواههم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم. . . .»[1].

= ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح. كذا في مجمع الزوائد. وفي هذا الحديث ما فيه من تقدير النبي ﷺ لأم سليم لمناقبها الرفيعة وفضائلها الكبيرة التي اجتمعت بها رضي الله عنها، وفيه توجيه كريم لكل زوج رزقه الله زوجة صالح ليتمسك بها ويحسن معاملتها.

(١) أخرج الحديث مسلم في صحيحه وسيأتي بطوله عند الحديث عن أبي طلحة.

كما شهدت معركة حُنَين، ففي صحيح مسلم عن أنس أن أم سُليم اتخذت يوم حنين خنجراً، فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سُليم معها خنجر! فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك، قالت: يا رسول الله اقتلْ من بعدنا من الطلقاء[1] انهزموا بك!!. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد كفى وأحسن».

ولقد نقل لنا ابن هشام في سيرته وصفاً رائعاً لثبات أم سُليم وشجاعتها في يوم حنين العصيب: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سُليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها ببرد[2] لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعُزَّها[3] الجمل، فأدنت رأسه منها فأدخلت يدها في خزامته[4] مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: أم سُليم؟ قلت: نعم بأبي

---

(١) وهم الذين أسلموا من أهل مكة يوم الفتح، وسموا بذلك لأن النبي ﷺ منَّ عليهم وأطلقهم، وكان في إسلامهم ضعف، فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون وأنهم استحقوا القتل بانهزامهم، وقولها (من بعدنا) أي من سوانا. من شرح مسلم.

(٢) البرد: بالضم ثوب مخطط. قاموس.

(٣) أي يغلبها.

(٤) الخزامة: حلقة من شعر تجعل في أنف البعير.

أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما نقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل. فقال رسول الله ﷺ «أو يكفي الله يا أم سُليم».

ولم تكن أم سُليم المجاهدة الوحيدة في أسرتها، بل شاركتها شرف الجهاد أختها أم حرام بنت ملحان التي غزت في البحر، ففي صحيح مسلم عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت[1]، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته ثم جلست تفلي[2] رأسه، فنام رسول الله ﷺ، ثم استيقظ وهو يضحك[3]، قالت: فقلت: ما يضحكك يا

(١) هو عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الأولى والثانية وكان نقيباً على قبائل بني عوف بن الخزرج، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من الذين جمعوا القرآن في زمن النبي ﷺ، وبايع رسول الله ﷺ على ألّا يخاف في الله لومة لائم، وكان يعلم أهل الصفة القرآن، ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب ليعلم الناس القرآن بالشام ويفقههم في الدين، فسكن حمص ثم تولى القضاء في فلسطين، وتوفي في الرملة سنة ٣٤ هـ وقيل في بيت المقدس. كان طويلاً جسيماً جميلاً. من أسد الغابة باختصار.

(٢) أي تمرر أصابعها بين شعره الشريف ﷺ تفعل ذلك تودداً له عليه الصلاة والسلام.

(٣) فرحاً وسروراً لكون أمته تبقى بعده متظاهرة بأمور الإسلام قائمة بالجهاد حتى في البحر. كما في شرح مسلم.

رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله، يركبون ثبج[1] هذا البحر ملوكاً[2] على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة «شك أيهما قالت» فقلت: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله ـ كما قال في الأولى ـ قالت: فقلت: يا رسول الله ادع أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين»[3] فركبت أم حرام بنت ملحان البحر زمن معاوية فصـرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت[4].

---

(١) وهو ظهره ووسطه، والرواية الأخرى: يركبون ظهر البحر. شرح مسلم.

(٢) قيل هو صفة لهم في الآخرة إذا دخلوا الجنة، والأصح أنه صفة لهم في الدنيا، أي يركبون من مـراكب الملوك لسعة حـالهم واستقامة أمرهم وكثرة عددهم. شرح مسلم.

(٣) هذا دليل على أن رؤياه الثانية غير الأولى، وأنه عرض عليه فيها غير الأولين. شرح مسلم.

(٤) وفي مجمع الزوائد: قبر أم حرام بنت ملحان في قبرس، وهم يقولون هذا قبر المرأة الصالحة. رواه الطبراني ورجاله إلى قائلة رجال الصحيح. أ هـ وفي شرح مسلم: قال القاضي: قال أكثر أهل السير والأخبار: إن ذلك كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأن فيها ركبت أم حرام وزوجها إلى قبرس، فصرعت عن =

ويجب التنبيه إلى أن أم حرام كانت مَحْرماً له ﷺ، قال النووي في شرح الحديث: اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ، واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل خالة لأبيه أو لجدته لأن عبد المطلب كانت أمه من بني النجار. لكنَّ العلاَّمة ابن حجر ذهب إلى أن من خصائص النبي ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، وأكد رأيه هذا بقوله: وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها، ونومه عندها، وتفليتها رأسه، ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية[1]. اهـ.

ودخول النبي ﷺ عليها وعلى أختها أم سُليم تقدير منه صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الأسرة الكريمة المجاهدة، صرح بذلك صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك: كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلاّ على أزواجه، إلاّ على أم سُليم فإنه كان يدخل عليها، فقيل له في ذلك، فقال: «إني أرحمها قُتل أخوها معي»[2].

= دابتها هناك فتوفيت ودفنت هناك. وعلى هذا يكون قوله في زمان معاوية، معناه في زمان غزوه في البحر.

(١) فتح الباري ٧٤/٩.

(٢) صحيح مسلم.

شهيد في الصحراء:

ولقد أشار النبي ﷺ بقوله: «قتل أخوها معي» إلى حرام بن ملحان الذي قتل في سبيل الله، ولنستمع إلى أنس يحدثنا عن استشهاده كما هو في صحيح مسلم:

جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا أن أبعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القرَّاء، فيهم خالي حرام، يقرأون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفة[1] والفقراء. فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا (المكان) فقالوا: اللهم بلّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا.

قال: وأتى رجل حراماً - خال أنس - من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فُزت وربِّ الكعبة فقال رسول الله ﷺ لإخوانه: «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا»[2].

---

(١) أهل الصفة: هم الفقراء الغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي ﷺ، وكانت لهم في آخره صفة، وهو مكان منقطع من المسجد مظلل يبيتون فيه، وملازمتهم للمسجد لطلب العلم.

(٢) فيه فضيلة ظاهرة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ قال العلماء: رضي الله =

محبتها للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم»:

ووراء جهاد أم سُليم وتضحيتها قلب مفعم بحب النبي ﷺ وحب الإسلام، حتى إنها لم تجد هدية تليق به تقدمها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعبر بها عن حبها العظيم له حين قدومه المدينة أعز من ولدها وثمرة فؤادها، فأتت به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلة:

يا رسول الله لم يبق رجل ولا امرأة من الأنصار إلّا وقد أتحفك بتحفة، وإني لا أقدر على ما أتحفك به إلّا ابني هذا، فخذه فليخدمك ما بدا لك[1].

ومن محبتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها كانت تحرص حرصاً شديداً على التبرك بآثاره الشريفة، حتى إنها لتعمل في جمع قطرات عرقه صلى الله عليه وآله وسلم لتجعلها في طيبها وتمسح به صبيانها، ففي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: دخل علينا رسول الله ﷺ، فقال[2] عندنا، فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت[3] العرق

= عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات. شرح مسلم.

(١) سير إعلام النبلاء عن أنس.

(٢) أي نام للقيلولة.

(٣) أي تمسحه وتتبعه في المسح. شرح مسلم.

فيها، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «يا أم سُليم ما هذا الذي تصنعين؟» قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب.

وفي رواية أخرى قالت: نرجو بركته لصبياننا. قال: ـ أي رسول الله ﷺ ـ «أصبتِ».

ونظراً لحرصها على التبرك بآثاره الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم كان يخصها ببعض شعر رأسه الشريف عندما كان يحلق، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أنس قال: لما حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنى أخذ شق رأسه الأيمن بيده، فلما فرغ ناولني فقال:

«يا أنس انطلق بهذا إلى أم سُليم» فلما رأى الناس ما خصها به من ذلك تنافسوا في الشق الآخر، هذا يأخذ الشيء وهذا يأخذ الشيء. قال محمد بن سيرين[1]: فحدثته عبيدة السلماني[2]، فقال: لأن يكون عندي شعرة أحب إليَّ من كل صفراء وبيضاء[3] أصبحت على وجه الأرض وفي بطنها.

---

(١) أحد رجال سند الحديث وهو من أكبر تلاميذ أنس وستأتي ترجمته.

(٢) من كبار علماء التابعين، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين ولم يره، ويعد من تلاميذ علي بن أبي طالب توفي سنة ٧٢ هـ. كذا في تهذيب التهذيب.

(٣) أي الذهب والفضة.

ومن محبتها رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم رفضها أن تقص ذؤابة أنس، لأن النبي ﷺ كان يلمسها بيده الشريفة.

ففي سنن أبي داود عن أنس قال:
كان لي ذؤابة فقالت لي أمي: «لا أجزها كان رسول الله ﷺ يمدها ويأخذها».

وتقطع فم قربة شرب منها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحتفظ به، ففي مسند أحمد عن أنس أن النبي ﷺ دخل على أم سُليم وفي البيت قربة معلقة، فشرب من فيها وهو قائم، فقطعت أم سُليم فم القربة فهو عندنا[1].

ولم تنس رحمها الله تعالى أن تصنع الطعام وترسله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وترسل معه اعتذارها،

---

(١) وشرب النبي ﷺ قائماً لا يتعارض مع ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً، قال قتادة: قلنا فالأكل، فقال: ذاك أشر وأخبث.

لأن النهي في الحديث محمول على كراهة التنزيه، وأما شربه ﷺ قائماً، فبيان للجواز، وقد كان ﷺ ينبه على جواز الشيء مرة أو مرات ويواظب على الأفضل منه، فقد توضأ مرة مرة، وطاف على بعير، مع أن الإجماع على أن الوضوء ثلاثاً ثلاثاً والطواف ماشياً أكمل، لأن أكثر وضوئه ﷺ كان ثلاثاً ثلاثاً وأكثر طوافه ماشياً وأكثر شربه جالساً. انظر شرح صحيح مسلم.

معتبرة أن ما أرسلت قليل بالنسبة لما يجب عليها نحوه صلى الله عليه وآله وسلم، مما يدل على سمو أدبها وذوقها رضي الله عنها.

روى الترمذي عن أنس قال:

تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، فصنعت أمي أم سُليم حَيْساً[1]، فجعلته في تَوْر[2]، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقل له: بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول إن هذا لك منا قليل يا رسول الله، قال: فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا منا لك قليل، قال: ثم قال: «اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ومن لقيت» وسمّى رجالاً، قال فدعوت من سمّى ومن لقيت، قال[3]: قلت لأنس عددكم كم كان؟ قال: زهاء ثلاثمائة، قال: وقال لي رسول الله ﷺ: «يا أنس هات بالتَور» قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال ﷺ: «ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، قال: فقال لي: «يا

---

(١) تمر يخلط بسمن وأقط، والأقط شيء يصنع من مخيض الغنم. القاموس المحيط.

(٢) إناء يشرب فيه. القاموس المحيط.

(٣) الجعد بن عثمان راوي الحديث عن أنس.

أنس ارفع» قال: فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.

قال وجلس منهم طوائف يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ فسلم على نسائه ثم رجع، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم ثقلوا عليه، فابتدروا الباب فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل وأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلّا يسيراً حتى خرج عليَّ وأنزلت هذه الآيات، فخرج رسول الله ﷺ فقرأهن على الناس: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلّا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إنّ ذلكم كان يؤذي النبي ﴾ إلى آخر الآية[1]، قال الجعد: قال أنس: أنا أحدث

---

(١) وتتمتها: ﴿فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق، وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً، إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾. وقوله تعالى: ﴿ غير ناظرين إناه ﴾ أي غير متحينين نضجه واستواه أي وترقبوا الطعام إذا طبخ حتى قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه. انظر تفسير ابن كثير.

الناس عهداً بهذه الآيات، وحُجبن نساء النبي ﷺ[1].

وبسبب إخلاصها وحبها نالت رضي الله عنها بركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى قالت: لقد دعا لي رسول الله ﷺ حتى ما أريد زيادة[2].

ولم يمنعها الحياء من السؤال والاستفسار عن شؤون دينها مما يدل على قوة شخصيتها، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس قال: جاءت أم سُليم إلى رسول الله ﷺ فقالت له ـ وعائشة عنده ـ: يا رسول الله المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه؟ فقالت عائشة: يا أم سُليم فضحت النساء[3] تربت يمينك!![4] فقال لعائشة: «بل أنت فتربت يمينك، نعم فلتغتسل يا أم سُليم إذا رأت ذاك»[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه أيضاً.

(٢) تهذيب التهذيب.

(٣) (فضحت النساء) معناه حكيت عنهن أمراً يستحيا من وصفهن به ويكتمنه، وذلك أن نزول المني منهن يدل على شدة شهوتهن للرجال. شرح مسلم.

(٤) تربت يمينك: كلمة أصلها افتقرت، ولكن العرب اعتادت استعمالها غير قاصدة حقيقة معناها، يقولونها عند إنكار الشيء والزجر عنه أو الإعجاب به أو ا لحث عليه، وقوله ﷺ لعائشة: «بل أنت فتربت يمينك» فمعناه أنت أحق أن يقال لك هذا، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها. من شرح مسلم باختصار.

(٥) أي إذا رأت المرأة أثر البلل الحاصل بالاحتلام يجب عليها =

كما كانت رضي الله عنها وفية بما بايعت عليه رسول الله ﷺ، قالت أم عطية: أخذ علينا النبي ﷺ ألا ننوح، فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة: أم سُليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة ـ امرأة معاذ ـ وامرأتين[1].

أما تاريخ وفاتها، فلم أظفر به حتى الآن، ويبدو أنها عاشت حتى شهدت مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فقد أخرج ابن كثير عن أنس قال: قالت أم سُليم لما سمعت بقتل عثمان: رحمه الله أما إنه لم يحلبوا بعده إلّا دماً[2].

ولقد برهنت الأحداث بعد ذلك على صحة رأيها وبعد نظرها رضي الله عنها.

= الغسل. انظر للمؤلف «إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس».

(١) صحيح البخاري.

(٢) البداية والنهاية.

أبو طلحة

رضي الله عنه

اسمه ونسبه وإسلامه:

هو زيد بن سهل، بن الأسود بن حرام، بن عمرو، بن زيد مناة، بن عدي، بن عمرو، بن مالك، بن النجار[1]، فهو أنصاري خزرجي نجاري.

أسلم بعد العقبة الأولى، وحضر العقبة الثانية، وذكر ابن حجر في التهذيب أنه كان أحد النقباء، وأيده في هذا ابن الأثير في أسد الغابة، لكن ابن هشام في السيرة لم يذكر اسمه في عداد النقباء، بل ذكره مع عامة من حضر العقبة الثانية، اشتهر بكنيته (أبي طلحة الأنصاري) كما اشتهرت زوجته بكنيتها (أم سُليم).

أبو طلحة المجاهد:

حضر أبو طلحة المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وأبلى فيها بلاءً حسناً، ولم يؤثر عنه فرار أو هزيمة في كل المعارك التي

---

(١) تهذيب التهذيب.

خاضها، بل إنه ليعد من أبطال الصحابة وفرسانهم الذين جاهدوا في سبيل الإسلام أعظم جهاد.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال:

لما كان يوم أحد انهزم ناس من الناس عن النبي ﷺ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مُجَوِّب بحَجَفة[1] قال: وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد النزع[2] وكسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثاً، قال: فكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: «انثرها لأبي طلحة» قال: ويشرف نبي الله ﷺ ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف، لا يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك[3].

قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سُليم وإنهما لمشمّرتان أرى خَدَم[4] سوقهما تنقلان القرب على متونهما

---

(١) مجوب: أي مترس عليه ليقيه سلاح الكفار. شرح مسلم والحجفة: الترس من جلد بلا خشب كما في القاموس.

(٢) أي شديد الرمي. كذا في صحيح مسلم.

(٣) كتب النووي على هذه العبارة معلقاً: هذا من مناقب أبي طلحة الفاخرة.

(٤) الواحد خدمة وهي الخلخال، وأما السوق فجمع ساق وهذه الرؤية لم يكن فيها نهي، لأن هذا كان يوم أحد قبل أمر النساء بالحجاب وتحريم النظر إليهن، أو أنه لم يتعمد النظر إلى نفس الساق، فهو =

ثم تفرغانه في أفواههم. ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان تفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً من النعاس.

ولقد أنزل الله عليهم ذلك النعاس ليشعروا بالأمن؛

ففي سنن الترمذي عن أنس عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر وما منهم يومئذٍ أحد إلاّ يميد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً﴾[1].

ومما يدل على مدى بطولته وشجاعته أن أخباره في القتال لم تظهر إلاّ في أيام الحرب العصيبة، عندما يشتد القتال وتحمر الحدق، ويوم حنين كيوم أحد شدة وهولاً، ففي هذا اليوم العصيب ثبت أبو طلحة مع زوجته أم سُليم، حتى قتل رضي الله عنه عشرين من المشركين، دلّ على ذلك ما رواه أبو داود في سننه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل كافراً فله سلبُه»[2] فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً

= محمول على أنه حصلت تلك النظرة فجأة بغير قصد ولم يستدمها. من شرح مسلم باختصار.

(١) وأخرجه أيضاً البخاري والنسائي وابن ماجه والآية ١٥٤ آل عمران.

(٢) وهو سلاح المقتول وثيابه وفرسه وآلته، وما عليه ومعه من قماش ومال، ويجوز لقائد الجيش أن يفعل هذا أثناء المعركة تحريضاً على القتال. كذا في شرح مسلم.

وأخذ أسلابهم. ولقي أبو طلحة أم سُليم ومعها خنجر، فقال: يا أم سُليم ما هذا معك؟ قالت: أردت والله إن دنا مني بعضهم أبعج به بطنه فأخبر بذلك أبو طلحة رسول الله ﷺ(١).

وإلى جانب ذلك كـان رضي الله تعالى عنـه جَهوريّ الصوت، يخيف المشركين بصوته، حتى قال عنه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أنس: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»(٢) وفي رواية ثانية للحاكم عن جابر: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل».

وحرصاً منه رضي الله تعالى عنه على الثبات في أرض المعركة كان لا يصوم نفلاً في حياة رسول الله ﷺ، أما بعد وفاته فقد أخذ أبو طلحة يسرد الصوم ولا يفطر إلاّ أيام العيدين، حكى ذلك عنه أنس فقال: «كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الغزو، فصام بعده أربعين سنة لا يفطر إلاّ يوم أضحى أو فطر»(٣).

شهيد في البحر:

ولا يعني هذا أنه انقطع عن الجهاد بعد وفاة النبي صلى

---

(١) رواه أيضاً البخاري ومسلم والترمذي كما في الفتح الكبير.

(٢) رواه أحمد والحاكم وأبو داود.

(٣) تهذيب التهذيب.

الله عليه وآله وسلم، بل استمر في جهاده طيلة عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال المناوي: ومن كراماته ما رواه أبو يعلى عن أنس أنه قرأ سورة براءة فأتى على آية: ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً ﴾[1] فقال: أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً، جهّزوني. فقال بنوه: غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قبض ومع أبي بكر وعمر فنحن نغزو عنك، قال جهزوني، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة ليدفنوه إلّا بعد سبعة أيام فلم يتغير[2].

أبو طلحة الكريم الجواد:

ومن يجُد بنفسه في سبيل الله يجُد بماله، وكذلك كان أبو طلحة رضي الله عنه في جوده وكرمه، يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري في المدينة مالاً وكان أحب أمواله إليه بَيْرَحى[3] وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية:

---

(١) الآية (٤٣) من سورة التوبة وتتمتها: ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾.

(٢) فيض القدير. وفيه: قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

(٣) قال في شرح مسلم: اختلفوا في ضبط هذه اللفظة وهو حائط ـ بستان ـ يسمى بهذا الاسم وليس اسم بئر اهـ باختصار.

﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[1] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: إن الله يقول في كتابه: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾. وإن أحب أموالي إليَّ بَيْرَحى وإنها صدقة لك أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت.

قال رسول الله ﷺ، بخ[2] ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[3].

وهذا يبين لنا كيف كان رضي الله عنه يتأثر بسماع القرآن الكريم وكيف كانت آياته تلامس موضع الحس في قلبه، فيندفع معبراً بجوده وكرمه عن صدق تأثره وصفاء نيته وعاطفته.

---

(١) الآية: ٩٣ من سورة آل عمران، وتتمتها: ﴿وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾.

(٢) قال في شرح مسلم: يجوز فيها الإسكان والتنوين وهي كلمة تقال عند الإعجاب. اهـ باختصار.

(٣) في هذا الحديث من الفوائد أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين، وفيه أن القرابة يرعى حقها في صلة الرحم وإن لم يجتمعوا إلاّ في أب بعيد، لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين، فجعلها في أبي بن كعب وحسان بن ثابت، وإنما يجتمعان معه في الجد السابع. شرح مسلم باختصار.

كما كان رضي الله عنه كثير التفقد لأحوال النبي ﷺ، من ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس قال: قال أبو طلحة لأم سُليم قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخذت خماراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردَّتني[1] ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت به، فوجدت رسول الله ﷺ، جالساً في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أأرسلك أبو طلحة؟» قال: فقلت نعم. فقال: «أَلِطعام؟» فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لِمَن معه: «قوموا» قال فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سُليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت الله ورسوله أعلم.

قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «هلمّي ما عندك يا أم سُليم» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُت وعصرت أم سُليم عُكة[2] لها فأدَمَته،[3] ثم قال فيه

---

(١) أي جعلته لي رداء.

(٢) العكة: وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن والعسل، وهو بالسمن أخص.

(٣) وهو بالمد والقصر لغتان آدمته وأدمته أي جعلت فيه أداماً. شرح مسلم.

رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» حتى أكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون.

وزاد في رواية أخرى: ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت.

وتركوا سُؤْراً(١).

هذا وقد ذكر كثير من المفسرين والمحدِّثين أن أبا طلحة هو الذي أنزل الله بسببه قوله الكريم في الأنصار: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(٢).

---

(١) سؤراً: بقية. ومما قال النووي في فوائد الحديث: وفيه ما كانوا عليه من كتمان ما بهم، ومنه ما كانت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عليه من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ، وفيه استحباب بعث الهدية وإن كانت قليلة بالنسبة إلى مرتبة المبعوث إليه، لأنها وإن قلت فهي خير من العدم، وفيه جلوس العالم لأصحابه يفيدهم ويؤدبهم واستحباب ذلك في المساجد، وفيه انطلاق صاحب الطعام بين يدي الضيفان وخروجه ليتلقاهم، وفيه لام سليم رضي الله عنها دلالة على عظيم فقهها ورجحان عقلها اهـ: وفوق كل ذلك معجزة تكثير الطعام ببركة دعائه ﷺ.

(٢) الآية (١٠) من سورة الحشر وتمامها: ﴿والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾.

روى ابن كثير في تفسيره عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تَدَّخريه شيئاً، فقالت: والله ما عندي إلّا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله عز وجل ـ أو ضحك من فلان وفلانة ـ» وأنزل الله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ . . . وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه.

وبلغ به الورع رضي الله عنه إلى التـصدق ببستان له لأنه تفكر به في صلاته، ففي الموطأ أن أبا طلحة الأنصاري كان يصلي في حائطه، فطار دُبسي، فطفق يتردد يلتمس مخرجاً، فأعجبـه ذلـك، فجعل يُتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته، فإذا هو لم يدرِ كم صلى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابه في حائطه من الفتنة وقال: يا رسول الله هو صدقة لله فضعه حيث شئت.

محبة أبي طلحة للنبي ﷺ:

يبدو لنا من خلال استعراضنا لأخبار أبي طلحة مقدار حبه للنبي ﷺ، ولقد أظهر لنا مدى تعلقه بالنبي عليه وآله الصلاة والسلام ما مرّ معنا من حزنه عندما ضرب المخاض زوجته أم سليم وقوله:

«يا رب إنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل، وقد احتسبتُ بما ترى» هكذا كانت محبته رضي الله عنه تحمله على عدم مفارقة محبوبه سفراً وحضراً مدخلاً ومخرجاً، وتحمله أيضاً على أن ينصب جسده ليحول دون وصول السهام إلى رسول الله ﷺ يوم أحد وهو يقول: «نفسي لنفسك فداء، ووجهي لوجهك وقاء» وعندما يشرف النبي ﷺ ليرى مواضع النبل يقول له أبو طلحة «يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف لا يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك» ثم يتطاول رضي الله عنه يقي رسول الله ﷺ[1].

مكانة أبي طلحة بين الصحابة:

هذه المناقب والفضائل التي جمعها أبو طلحة إلى جانب الأسرة العريقة التي ينتسب إليها، جعلت له مكانة عالية كبيرة بين الصحابة رضي الله عنهم، وخاصة بين الأنصار، حتى إن

---

(١) السيرة الدحلانية.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلف قبيل وفاته أبا طلحة بمسؤولية حفظ الأمن ريثما يتمكن أصحاب الشورى من اختيار الخليفة. ففي العقد الفريد قال ـ أي عمر ـ لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة إن الله قد أعز بكم الإسلام، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم.

ولولا مكانته الرفيعة ما آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في بيته، فقد تم هذا الأمر العظيم في بيته رضي الله عنه[1]، ولعل هذا الذي أراده أنس في قوله: «حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داره التي بالمدينة»[2]. وأنس كان ربيب أبي طلحة يسكن معه في داره.

كما روى أنس أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة[3] رضي الله تعالى عنهما، ومن المعلوم أن أبا عبيدة من كبار المهاجرين مما يدل على سمو مكانة أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

ومن الجدير بالذكر أن أنس بن مالك روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «إن لكل أمة أميناً وإن أميننا

---

(١) السيرة الدحلانية.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم.

أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح» وفي رواية عن أنس أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا السّنة والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة»(١).

وفاة أبي طلحة:

اختلف العلماء في السنة التي توفي فيها أبو طلحة رضي الله عنه، فبعضهم ذكر أنه توفي سنة أربع وثلاثين وصلى عليه عثمان، وبعضهم قال سنة اثنتين وثلاثين وبعضهم قال سنة إحدى وخمسين، ورجّح ابن حجر في التهذيب هذا القول وقال عنه: والظاهر أنه الصواب.

---

(١) صحيح مسلم. وأبو عبيدة: عامر بن عبد الله بن الجراح أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدراً واحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من السابقين إلى الإسلام وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أيضاً، وكان يدعى القوي الأمين. وكان اهتم ـ أي كسرت أسنانه المتقدمة ـ وسبب ذلك أنه نزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان أحد الأمراء المسيرين إلى الشام والذين فتحوا دمشق ولما ولي عمر الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة، فقال خالد: ولي عليكم أمين هذه الأمة. توفي في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وعمره ثمان وخمسون سنة، وعمواس قرية بين بيت المقدس والرملة. أسد الغابة باختصار.

ويؤيد كونه صواباً، رواية مالك في الموطأ عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة أنه دخل على أبي طلحة، فذكر الحديث في التصاوير[1]، وقد صححه الترمذي، وعبيد الله بن عبد الله لم يدرك عثمان ولا يصح له سماع من علي. اهـ تهذيب التهذيب.

ويؤيد أن وفاته كانت في سنة إحدى وخمسين أيضاً، ما مرّ معنا عن أنس أن أبا طلحة صام بعد النبي ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلّا يوم أضحى أو فطر، وأنه غزا في البحر فمات فيه، فما وجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلّا بعد سبعة أيام ولم يتغير، وذكر في حياة الصحابة أسماء من خرَّج هذا الأثر فقال: أخرجه ابن سعد والبيهقي والحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وأبو يعلى وقال: رجاله رجال الصحيح.

---

(١) قال في الموطأ: وحدثني مالك عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يعوده، قال فوجد عنده سهل بن حنيف، فدعا أبو طلحة إنساناً فنزع نمطاً من تحته، فقال سهل بن حنيف لم تنزعه؟ قال لأن فيه تصاوير وقد قال رسول الله ﷺ فيها ما قد علمت، فقال سهل: ألم يقل رسول الله ﷺ: إلّا ما كان رقماً في ثوب! قال: بلى ولكنه أطيب لنفسي.

البراء بن مالك

رضي الله عنه

اسمه ونسبه:

هو البراء بن مالك، بن النضر الأنصاري الخزرجي النجاري، أخو أنس بن مالك لأبيه وأمه[1]. والظاهر أن البراء كان أكبر سناً من أنس لأن كل علماء التراجم والسير ذكروا أن البراء حضر أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بدراً، ومن المعلوم أن أنساً كان عمره أثناء أحد ثلاث عشرة سنة، فلو كان البراء أصغر من أنس لرده النبي ﷺ مع صبيان الصحابة الذين رد هم يوم

---

(١) ذكر هذا ابن الأثير في أسد الغابة عند الكلام على البراء، لكنه ذكر في مكان آخر ما يدل على أن البراء كان أخا أنس لأبيه فقط، فقد قال في ترجمة شريك بن السحماء: وهو أخو البراء بن مالك لأمه ا هـ، وأكد هذا أنس بن مالك في حديث الملاعنة الذي رواه مسلم في صحيحه قال: إن هلال بن أمية قذف امرأته بشريك بن السحماء وكان أخا البراء بن مالك لأمه ا هـ ويؤكد هذا ما مر معنا من شدة عناية أم سليم بأنس فقط ا هـ.

أحد، ولما كانت أحد أول المعارك التي شهدها البراء، دل ذلك على أن عمره كان وقتئذٍ خمس عشرة سنة أو أكثر.

جهاده وبطولته:

وأخبار البراء رضي الله تعالى عنه، تدور كلها حول بطولته وشجاعته، فهو بطل من كبار أبطال الإسلام، وفارس من أعظم فرسان الصحابة الشجعان، وحياته رضي الله تعالى عنه صفحة مشرقة من صفحات الكفاح المستمر والنضال الدائب والجهاد المرير في سبيل نشر دعوة الإسلام.

ويكفينا لنعلم مدى بطولته الخارقة أن نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى أمراء الجيوش: لا تستعملوا البراء بن مالك على جيش من جيوش المسلمين فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم[1]. والحق كل الحق مع عمر رضي الله عنه، فالبراء رضي الله تعالى عنه كان يتأجج حماساً أثناء القتال، حتى يصبح كأنه عاصفة مدمرة لا تأبه للعقبات في طريقها، ولا تذر شيئاً أتت عليه إلّا هالكاً مدمراً.

لا يأبه لجدران الحصون فيصعد فوقها على رؤوس الرماح، ولا يبالي بكثرة أعدائه فيلقي بنفسه من أعلى الجدار فوقهم وحده، ولا يزال يدافعهم حتى يفتح أبواب الحصن

---

(١) الحاكم في المستدرك وأسد الغابة.

وحده ويقتل عشرة منهم دون أن يشعر بآلام بضع وثمانين جرحاً في جسده ما بين رمية وضربة.

بطل اليمامة:

قال ابن الأثير في أسد الغابة: ولما كان يوم اليمامة واشتد قتال بني حنيفة على الحديقة التي فيها مسيلمة، قال البراء: يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين، فدخل المسلمون فقتل الله مسيلمة، وجرح البراء بضعاً وثمانين جراحة ما بين رمية وضربة، فأقام عليه خالد بن الوليد شهراً حتى برأ من جراحه. ا هـ.

وهذا تقدير من خالد رضي الله عنه لبطولة البراء وشهادة له بذلك ولا يعرف الفضل لأهله إلّا ذووه.

ووصف البيهقي في سننه كيفية ارتقاء البراء لجدار حديقة الموت، فقال: إن المسلمين انتهوا إلى حائط قد أغلق بابه، فيه رجال من المشركين، فجلس البراء بن مالك رضي الله عنه على ترس، فقال: ارفعوني برماحكم فألقوني إليهم فرفعوه برماحهم فألقوه من وراء الحائط فأدركوه قد قتل منهم عشرة. اهـ.

وحتى النار لا يبالي بها وهي تحرق لحم يديه فلا تبقى له إلّا عظامهما، تحمّل كل هذا من أجل إنقاذ أخيه أنس من

أيدي أعدائـه، روى البيهقي في الزوائـد عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: بينما أنس بن مالك وأخوه البراء بن مالك عند حصن من حصون العدو، والعدو يلقون كلاليب في سلاسل محماة، فتعلق بالإنسان فيرفعونه إليهم، فعلق بعض تلك الكلاليب بأنس بن مالك فرفعوه حتى أقلّوه من الأرض، فأُتي أخوه البراء، فقيل له أدرك أخاك، وهو يقاتل الناس، فأقبل يسعى حتى نزا[1] في الجدار، ثم قبض بيديه على السلسلة وهي تدار، فما برح يجرهم ويداه تدخنان حتى قطع الحبل، ثم نظر إلى يديه فإذا عظامه تلوح قد ذهب ما عليها من اللحم، أنجى الله عزّ وجلّ أنس بن مالك رضي الله عنه بذاك. رواه الطبراني وإسناده حسن. ا هـ.

قوته الجسمية:

ومن هذا الخبر ندرك مدى القوة الجسمية التي كان البراء رضي الله عنه يتمتع بها، حتى تمكن من جرّ حبل يشده عدد من رجال العدو رغم النار التي كانت تحرق يديه، وبلغ من قوته رضي الله عنه، أن السيوف كانت تتكسر في يده أثناء القتال، ففي سنن البيهقي عن أنس بن مالك عن البراء بن مالك رضي الله عنه قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له حمار اليمامة، رجلاً جسيماً بيده سيف أبيض فضربت رجليه

---

(١) نزا: وثب.

فكأنما أخطأته فانقعر[1] فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي، فما ضربت به إلّا ضربة حتى انقطع، فألقيته وأخذت سيفي.

حادي الرجال:

قال ابن الأثير في معرض حديثه عن البراء: وكان حسن الصوت يحدو بالنبي ﷺ في أسفاره فكان هو حادي الرجال وأنجشة حادي النساء. اهـ. فالبراء إذن قد جمع الله له قوة الجسم وجمال الصوت ونداوته، حتى كان النبي ﷺ يخشى أن يفتتن النساء بصوته، لذلك كان يأمره بالسكوت إذا قارب النساء.

روى الحاكم في المستدرك عن أنس: كان البراء بن مالك رجلاً حسن الصوت، فكان يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فبينما هو يرجز إذ قارب النساء، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والقوارير» قال فامسك. قال محمد بن إسحاق: كره رسول الله ﷺ أن تسمع النساء صوته، هذا حديث صحيح الاسناد[2]. اهـ.

---

(١) قعره: أي صرعه: وانقعرت النخلة: انقطعت من أصلها. كذا في القاموس.

(٢) وافق الذهبي في كتابه «تلخيص المستدرك» الحاكم على صحة هذا الحديث، لكن الإمام مسلم في صحيحه روى عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة =

ولهذا كان رضي الله تعالى عنه يتغنى إذا خلا بنفسه ويترنم. حتى كان أنس رضي الله عنه ينهاه عن ذلك، ففي مستدرك الحاكم عن أنس بن مالك أنه دخل على أخيه البراء وهو مستلق واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يتغنى، فنهاه فقال: أترهب أن أموت على فراشي وقد تفردت بقتل مائة من الكفار سوى من شركني فيه الناس[1].

الأمنية الكبرى للبراء:

وهذا يدلنا على أمرين هامين في حياة البراء رضي الله تعالى عنه.

= يحدو، فقال له رسول الله ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير» قال النووي في شرحه يعني ضعفة النساء، قال العلماء: سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها، والمراد به الرفق في السير لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واستلذته فأزعجت الراكب واتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة ويخاف ضررهن وسقوطهن. وقد رجح القاضي أن مقصود النبي ﷺ أن يقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك حتى لا يفتنهن. اهـ بتصرف واختصار. وليس بين هذه الرواية والرواية السابقة عند الحاكم أي تعارض فمن الممكن أن تكونا حادثتين منفصلتين.

(١) قال الحاكم: هـذا حديث حسن على شـرط الشيخين، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد.

أولهما: أمنيته أن يموت شهيداً.

ثانيهما: جهاده الكبير في سبيل الإسلام، حتى بلغ عدد الذين انفرد بقتلهم مائة كافر، وإن رواية الطبراني لهذا الخبر لتدل على أنه قتلهم مبارزة، ففيها قال البراء لأنس: «أي أنس أتراني أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين مبارزة سوى من شاركت في قتله». بل إن ابن الأثير ذهب في كتابه أسد الغابة إلى أنه قتل مائة رجل مبارزة في معركة واحدة فقال: وقتل البراء على تُستَر[1] مائة رجل مبارزة سوى من شرك في قتله. اهـ. ولقد أيد الطبري في تاريخه هذا الرأي عندما وصف معركة تستر بقوله: فحاصروهم أشهراً وأكثروا فيهم القتل. وقتل البراء بن مالك فيما بين أول ذلك الحصار إلى أن فتح الله على المسلمين مائة مبارزة سوى من قتل في غير ذلك، وزاحفهم المشركون في أيام تستر ثمانين زحفاً في حصارهم يكون عليهم مرة ولهم أخرى، حتى إذا كان آخر زحف واشتد القتال قال المسلمون: يا براء أقسم على ربك ليهزمنَّهم لنا فقال: اللهم اهزمهم لنا واستشهدني فهزمهم الله وكان الفتح[2].

---

(١) بلد معروف من بلاد الأهواز، واسمها الآن «شوستر» وذكر خليفة أن فتحها كان في سنة عشرين في خلافة عمر. اهـ فتح الباري.

(٢) أخبار عمر.

استشهاده رضي الله عنه:

حقق الله تعالى للبراء أمنيته الكبرى بنيل الشهادة، وهو أمر كان البراء يتوقعه كما مرّ معنا في حديثه لأخيه أنس: «أي أنس أتراني أموت على فراشي وقد قتلت مائة من المشركين؟!.» وفي رواية أخرى «أتخشى أن أموت على فراشي؟! والله لا يكون ذلك أبداً».

هذه الثقة الجازمة التي تلوح لنا في كلامه مردها إلى حديث نبوي رواه الترمذي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طِمْرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراء بن مالك»[1].

وادَّخر البراء رضي الله تعالى عنه هذا القسم ليستعمله في تحقيق أعز أمانيه. قال ابن الأثير في أسد الغابة بعد أن روى الحديث السابق: فلما كان يوم تستر ـ من بلاد فارس ـ انكشف الناس فقال له المسلمون: يا براء أقسم على ربك، فقال: «أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك». فحمل وحمل الناس معه، فقتل مرزبان[2] الزأرة

---

(١) أشعث: أي متفرق شعر الرأس. أغبر: أي مغبر البدن. ذي طمرين: أي صاحب ثوبين خلقين. لا يؤبه له: لا يبالى به ولا يلتفت إليه. لأبره: أي لأمضاه على الصدق. اهـ من التحفة باختصار.

(٢) مرزبان. بفتح الميم وضم الزاي هو الفارس الشجاع المقدم على =

ـ من عظماء الفرس ـ وأخذ سلبه، فانهزم الفرس وقُتل البراء، وذلك سنة عشرين ـ في قول الواقدي ـ وقيل سنة تسع عشرة وقيل ثلاثة وعشرين. ا هـ. وقد اختلفت الرواية عن أنس في مكان المعركة التي استشهد فيها البراء، فرواية ابن الأثير عنه تذكر تستر ورواية الحاكم في المستدرك تذكر قنطرة السوس، بل وعند الحاكم رواية أخرى عن أنس بلفظ آخر «لما كان يوم العقبة بفارس وقد زوى الناس، قام البراء بن مالك فركب فرسه وهي تزجى، ثم قال لأصحابه: بئس ما عودتم أقرانكم عليكم، فحمل على العدو ففتح الله على المسلمين واستشهد البراء يومئذٍ...».

= القوم، وهو معرب معناه حافظ الثغور، والزأرة: الأجمة سميت بها لزئير الأسد فيها. تعليقات أسد الغابة.

أنس بن النضر

رضي الله عنه

الحديث عن أنس بن النضر رضي الله عنه متمم لصورة البطولة والتضحية التي تحلّي هذه الأسرة المجاهدة أسرة أنس ابن مالك رضي الله عنه. وهو أول شهيد تقدمه هذه الأسرة في سبيل دعوة الإسلام، وصورة استشهاده ملحمة من أروع ملاحم البطولة والتضحية والفداء، ويكفي صاحبها فخراً شهادة الله سبحانه وتعالى له بالصدق والثبات في قوله الكريم: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً﴾[1].

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال: عمي الذي سُمّيتُ به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً، قال فشق عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيبت عنه، وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني[2] الله ما

---

(١) ٢٣ الأحزاب.

(٢) هكذا هو في أكثر النسخ ليراني بالألف، ووقع في بعض النسخ «ليرين الله» وهكذا وقع في صحيح البخاري وعلى هذا ضبطوه بوجهين: أحدهما بفتح الياء والراء أي يراه الله واقفاً بارزاً، والثاني =

أصنع، قال فهاب أن يقول غيرها[1] قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو أين؟! قال ـ أي أنس بن النضر ـ: «واها لريح الجنة أجده دون أحد»[2]، فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قال: فقالت أخته عمتي الرُبيِّع بنت النضر: فما عرفت أخي إلاّ ببنانه، ونزلت هذه الآية: ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً ﴾ قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه.

وفي كتاب أخبار عمر أن النضر بن أنس مرّ بعمر وهو يفرض العطاء فقال: أفرضوا له ألفين. . . إن أبا هذا لقيني يوم أحد، فقال: ما فعل رسول الله ﷺ فقلت: ما أراه إلا قد قتل، فسل سيفه وكسر غمده، وقال «إن كان رسول الله ﷺ قد قتل فإن الله حي لا يموت». فقاتل حتى قتل.

= ليرين بضم الياء وكسر الراء ومعناه ليرين الله الناس ما أصنعه. شرح مسلم باختصار.

(١) اقتصر على هذه اللفظة ليرين الله ما أصنع مخافة أن يعاهد الله على غيرها فيعجز عنه، ولتكون إبراء له من الحول والقوة. شرح مسلم باختصار.

(٢) «واها» كلمة تحنن وتلهف. (أجده دون أحد) محمول على ظاهره وإن الله تعالى أوجده ريحها من موضع المعركة وقد أثبتت الأحاديث أن ريحها توجد من مسيرة خمس مائة عام. شرح مسلم.

ومن مناقبه رضي الله عنه ما رواه أنس بن مالك قال:

• كسرت الرُّبيِّع عمة أنس ثنية جارية[١]، فطلبوا العفو، فأبوا، فأتوا النبي ﷺ فأمر بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله تكسر ثنية الربيع والذي بعثك بالحق لا تكسر. فقال النبي ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص»[٢] قال: فرضي القوم[٣] فقال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرَّه[٤]» ولم يرد أنس بن النضر بقوله «والذي بعثك بالحق لا تكسر» الردَّ عليه ﷺ ولا الإنكار لحكمه، وإنما قال توقعاً ورجاء في فضله سبحانه أن يلقي في قلوب أهل الجارية العفو عنها ابتغاء مرضاته جلّ شأنه، وقد وقع ما كان يتوقعه ويرجوه وألهمهم الله الرضا بأيسر الوجوه[٥].

---

(١) أحد أسنانها التي في مقدم فمها، والجارية: الفتية من النساء.

(٢) أي الحكم في كتاب الله القصاص.

(٣) أي قوم الجارية فعفوا عن الربيع.

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له.

(٥) انظر هداية الباري.



أنس في ظلال النبيّ ﷺ

- إسلام وصحبة
- الخادم الأمين
- المحب العظيم



أنس في ظلال النبي ﷺ

تمهيد:

بعد أن تعرفنا على أسرة أنس نستطيع أن ندرك كيف كانت نشأته وتربيته رضي الله عنه، فقد هيأ الله تعالى له في نشأته بيئة صالحة كريمة، قلَّما يتوفر مثلها لأحد سواه، فأمضى فترة صباه وباكورة شبابه في رعاية هذه الأسرة المسلمة المجاهدة.

ثم هيأ الله تعالى لأنس رعاية أكرم ومربياً أعظم، هيأ الله تعالى له أن يعيش في الكنف الكريم والظلال الحاني الرحيم عندما شرَّفه الله تعالى بصحبة النبي ﷺ، وخدمته، والتلمذة له. فكان عليه الصلاة والسلام أبا لأنس ومعلماً ومربياً.

وسعد أنس عشر سنوات في ظلال المصطفى ﷺ، ثم سعد بقية عمره المديد وهو يعيش ذكريات تلك السنوات العشر، تلك الذكريات التي انطبعت في وجدانه، ولم تفارقه في سفر أو حضر، في عافية أو مرض، في عسر أو يسر، بل ولا في يقظة أو منام[١].

---

(١) كان أنس رضي الله عنه يقول: ما من ليلة إلاّ وأنا أرى فيها حبيبي ـ يعني رسول الله ﷺ ـ.

إسلام وصحبة

ولد أنس في الجاهلية، إذ كان الإسلام لا يزال في مكة فقط حين ولد، وهلك أبوه مالك بن النضر بعد انتشار الإسلام بالمدينة بقليل، وقبل هجرة النبي ﷺ، وكان قد غاضب زوجته أم سليم ـ أم أنس ـ لأنها بادرت إلى الإسلام، وخرج إلى الشام فمات هناك، وتولت أم سليم تربية ابنها أنس، وجعلت تلقنه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فعقلها وهو صغير، وأسلم لله رب العالمين، ثم تولى تزويج أمه من أبي طلحة كما مر معنا.

وبعد أن أسلم أنس جعل يرقب بشوق ـ كسائر أهل المدينة ـ ذلك اليوم الذي تكتحل فيه عيناه برؤية النبي الكريم ﷺ الذي آمن به ولم يره، وحين جاء نبأ هجرة النبي ﷺ من مكة جعل أنس يخرج في جماعة من غلمان المدينة كل يوم إلى ظاهر المدينة ليتشرفوا باستقبال الوافد العظيم صلوات الله وسلامه عليه، وتكرر خروجهم وما فتر شوقهم، ثم شرَّف رسول الله ﷺ المدينة بهجرته إليها، وكان أنس أسعد أولئك الغلمان الذين كانوا يرقبون هجرته، فلقد شرفه الله بالقرب من

نبيه ﷺ، والعيش في كنفه، حين قدمته أمه وعمه وأبو طلحة خادماً له عليه السلام، فقبله وانضم إلى ذلك الجناب الكريم، وأتيح له أن يتربى على يد المصطفى عليه السلام، وأن يصنع على عينه.

ونستطيع أن نتعرف إلى سمات هذه التربية الرفيعة وقواعدها الحكيمة، من خلال استعراضنا للأحاديث الشريفة، التي رواها أنس رضي الله عنه، وهو يصف المعاملة الطيبة الكريمة التي كان يلقاها من النبي ﷺ.

أولاً: كان ﷺ يعامل أنساً معاملة الوالد لولده لا معاملة السيد لخادمه، ولذلك كان يناديه بـ «يا بني».

ففي سنن الترمذي عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا بني»[1] وفيه أيضاً عن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

وفيه أيضاً قال أنس بن مالك: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا بني، إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة، فإن كان لا بد ففي التطوع لا في الفريضة»[2]

---

(١) وأخرجه مسلم وأبو داود أيضاً.

(٢) هذا مشعر بأنه يتساهل بالسنن ما لا يتساهل بالفروض، ومن المعلوم عند الفقهاء أن الالتفات بالعنق يجعل الصلاة مكروهة، أما بالصدر فيبطل الصلاة.

وفي سنن الترمذي أيضاً قال أنس بن مالك: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل» ثم قال لي: «يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنّتي فقد أحبني[١]، ومن أحبني كان معي في الجنة»[٢].

ثانياً: كان ﷺ يعامل أنس بن مالك معاملة لطيفة رقيقة، كما هو شأنه ﷺ مع سائر الناس، حتى قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفاً[٣] قطّ، ولا قال لي لشيء لمَ فعلت كذا، وهلّا فعلت كذا[٤].

ووصف أنس حسن معاملة النبي ﷺ فقال:

كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة. فقلت: والله لا أذهب[٥]، وفي نفسي أن أذهب لما

---

(١) ورد الحديث في بعض نسخ الترمذي وفي الفتح الكبير باللفظ التالي: «فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة».

(٢) تأمل هذا التوجيه العالي الرفيع، فلن يمل طرفك من تأمله ولن تشبع نفسك من جماله وحسنه.

(٣) فيها عشر لغات وهي اسم فعل تستعمل في الواحد والاثنين والجمع والمؤنث والمذكر بلفظ واحد، قال تعالى: ﴿ولا تقل لهما أف﴾ وتقال لكل ما يضجر منه ويستثقل: أف له. شرح مسلم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٥) لعل ذلك صدر عنه كما يصدر عن الصبيان في مثل سنه، فقد يعلنون خلاف ما يسرون.

أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمُرَّ على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال:

«يا أُنيسُ أذهبت حيث أمرتُك؟» قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله، قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لِمَ فعلت كذا وكذا. أو لشيء تركته هلاّ فعلت كذا وكذا[1].

ثالثاً: ولم يكتف ﷺ بذلك، فقد كان ينهى أهله عن عتاب أنس أو لومه إذا توانى في أمر أو تركه. قال أنس رضي الله عنه:

خدمت النبي ﷺ عشر سنين. فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته، فلامني، وإن لامني أحد من أهله إلاّ قال:

«دعوه فلو قُدِّر ـ أو قال قُضي ـ أن يكون كان»[2].

رابعاً: وفضلاً عن ذلك فقد كان ﷺ يمازح أنساً أحياناً

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه. وقوله (تسع سنين) معناه تسع سنين وأشهر، فإن النبي ﷺ أقام بالمدينة عشر سنين تحديداً لا تزيد ولا تنقص، وخدمة أنس في أثناء السنة الأولى، ففي رواية التسع لم يحسب الكسر، بل اعتبر السنين الكوامل، وفي رواية العشر حسبها سنة كاملة، وكلاهما صحيح. شرح مسلم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند.

ويداعبه، ففي سنن الترمذي عن أنس، قال: ربما قال لي رسول الله ﷺ: «يا ذا الأذنين» قال أبو أسامة ـ أحد رجال السند ـ يعني يمازحه[1].

ويمسح ﷺ بيده الشريفة رأسه ويبرِّكُ عليه، روى أنس عن أخته قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ، وأنت يومئذٍ غلام، ولك قرنان أو قُصَّتان، فمسح رأسك وبرك عليك وقال: «احلقوا هذين أو قصّوهما، فإن هذا زيُّ اليهود»[2].

ويداعب ﷺ أخاه الصغير أيضاً. روى البخاري في صحيحه عن أنس قال: كان ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لي أخ يقال له أبو عمير، قال: أحسبه فطيماً. وكان إذا جاء قال: «يا أبا عمير ما فعل النُّغير»[3] نغير كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته، فينكَسُ ويُنضحُ[4]

---

(١) وأخرجه أيضاً أبو داود في سننه.

(٢) أخرجه أبو داود. والقصة الخصلة من الشعر. عن النهاية.

(٣) تصغير نغر كصرد، وهو البلبل، وكان قد مات وحزن عليه فسأله ﷺ عن شأنه وحاله تأنيساً له، وهذا من عظيم خلقه وكرم شمائله. هداية الباري.

(٤) اختلف العلماء في كيفية طهارة بول الصبي، ولا خلاف في نجاسته عندهم. ولم يخالف في ذلك إلّا داود الظاهري، والصحيح المختار عند الشافعية أنه يكفي النضح في بول الصبي، ولا يكفي في بول الجارية، والنضح أن يغمر ويكاثر مكاثرة لا يبلغ جريان =

ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا[1].

ويكنِّي النبي ﷺ أنساً بأبي حمزة. روى الترمذي عن أنس قال: كنّاني رسول الله ﷺ ببقلة كنت أجتنيها[2].

خامساً: ودعا له ﷺ، وهذا من المناقب الكبرى لأنس رضي الله عنه، فقد نال ببركة دعائه خير الدنيا والآخرة.

روى البخاري في صحيحه عن أنس أن رسول الله ﷺ دخل على أم سليم، فقدمت له تمراً وسمناً، فقال ﷺ: «أعيدوا سمنكم في سقائه وتمركم في وعائه فإني صائم» قال: ثم قام في ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله إن لي خُوَيِّصة[3] قال: «ما هي؟» قالت خادمُك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلّا دعا لي به: «اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك

= الماء وتردده وتقاطره، ويجزىء النضح ما دام الصبي يقتصر على الرضاع، أما إذا أكل الطعام على جهة التغذية فإنه يجب الغسل بلا خلاف، وعند أبي حنيفة ومالك في المشهور عنه يجب غسله كسائر النجاسات. شرح مسلم باختصار.

(١) وأخرجه أبو داود أيضاً بدون (فربما حضر الصلاة. . .).

(٢) كناه أبا حمزة لأن البقلة التي جناها أنس كان في طعمها لذع فسميت حمزة لفعلها، يقال رمانة حامزة أي فيها حموضة. النهاية. وفي القاموس الحمزة: الأسد وبقلة.

(٣) تصغير خاصة.

له» قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفِنَ لصلبي مقدم[1] حجاج البصرة بضع وعشرون ومائة.

ويبدو من روايات مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ دعا لأنس هذا الدعاء أكثر من مرة، ففيه عن أنس قال: جاءت بي أمي، أم أنس، إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هذا أنيس ابني أتيتك به يخدمك فادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده».

قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون[2] على نحو المائة اليوم.

وفي رواية أخرى قال: مرّ رسول الله ﷺ فسمعت أمي صوته فقالت: بأبي وأمي يا رسول الله، أنيس، فدعا لي رسول الله ﷺ ثلاث دعوات، قد رأيت منها اثنتين في الدنيا، وأنا أرجو الثالثة في الآخرة.

سادساً: وفضلاً عن هذا كله وعده النبي ﷺ أن يشفع له يوم القيامة. روى الترمذي عن أنس قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «أنا فاعل» قال: قلتُ: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»

---

(١) قدومه إليها كان سنة خمس وسبعين، وكان عمر أنس إذ ذاك نيفاً وثمانين سنة. هداية الباري.

(٢) أي يبلغ عددهم نحو المائة.

قال: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «اطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء[1] هذه الثلاثة المواطن»[2].

ولذلك كان رضي الله عنه يقول: إني لأرجو أن ألقى رسول الله ﷺ فأقول: يا رسول الله خويدمك[3].

---

(١) والمعنى أني لا أتجاوز هذه المواطن الثلاثة، ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن، فلا بد أن تلقاني في موضع منهن. تحفة.

(٢) وأخرجه أحمد أيضاً.

(٣) البداية والنهاية.

الخادمُ الأمين

كان أنس رضي الله تعالى عنه، خادماً أميناً للنبي ﷺ، خدمه أحسن خدمة، ولازمه أكمل ملازمة منذ أن هاجر إلى أن توفي ﷺ، خدمه سفراً وحضراً، سلماً وحرباً، قال رضي الله عنه: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، أخذ أبو طلحة بيدي، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن أنساً غلام كيّس[1] فليخدمك، قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لشيء صنعتُه: لِمَ صنعتَ هذا هكذا، ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لم تصنع هذا هكذا[2].

وعن مولى لأنس أنه قال لأنس: أشهدت بدراً؟ فقال: لا أمَّ لك وأين أغيب عن بدر؟! ثم قال الأنصاري ـ أحد رجال السند ـ خرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه[3].

---

(١) الكيس: العاقل.

(٢) صحيح مسلم. ويبدو مما تقدم ومن هذا الحديث أن تقديم أنس للنبي ﷺ قد تكرر. مرة من أم سليم وأخرى من أبي طلحة.

(٣) سير أعلام النبلاء.

ولم يكن أنس محتاجاً إلى من يحثه على خدمته ﷺ، ومع ذلك كانت أمه وخالته وكبار نساء أسرته يحثثنه على خدمة رسول الله ﷺ[1].

ووثق به النبي ﷺ رغم حداثة سنه في ذلك الوقت، وائتمنه على بعض أسراره، فحفظها أنس ولم يبح بها لأحد في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، ولهذا قال رضي الله تعالى عنه: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ سراً. فما أخبرت به أحداً، ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به[2].

ولعل أم سليم سألت أنساً لظنها أن ما عند أنس ليس سراً، فقد كانت رضي الله عنها توصي أنساً ألا يحدّث أحداً بسر رسول الله ﷺ.

أخبر ثابت[3] عن أنس قال: أتى عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب مع الغلمان، فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لاتحدثنَّ بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتك يا ثابت[4].

---

(١) المرجع نفسه.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) أكثر تلاميذ أنس ملازمة له، وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى.
(٤) صحيح مسلم.

وخلال خدمته للنبي ﷺ اطلع أنس على الكثير من خصوصياته ﷺ، فحدث رضي الله عنه ببعضها مما لم يعدّه سراً يجب كتمانه، منها حديثه أن النبي ﷺ طاف على تسع نسوة في ضحوة بغسل واحد[١]. وهذا حديث متفق عليه، فقد روى البخاري في صحيحه عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. وقال سعيد[٢] عن قتادة: إن أنساً حدثهم تسع نسوة[٣].

وهذا دليل على كمال البنية البدنية عند النبي ﷺ، والحكمة في كثرة أزواجه أن الأحكام التي ليست ظاهرة للناس يطّلعن عليها فينقلنها، وقد جاء عن عائشة من ذلك الكثير الطيب، ومن ثم فضّلها بعضهم على الباقيات[٤].

ومن المعلوم أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) هو سعيد بن أبي عروبة، كما في فتح الباري.

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري: لم يجتمع عنده من الزوجات أكثر من تسع. فرجحت رواية سعيد، ولكن تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن، وأطلق عليهم لفظ نسائه تغليباً.

(٤) فتح الباري.

الكمال في كونها موجودة، والفضل في قمعها، إما بمجاهدة كعيسى عليه السلام، أو بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام، ثم هي في حق من أقدر عليها ومُلِّكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه، درجة علياء. وهي درجة نبينا ﷺ. الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه، بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهنّ. بل صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال عليه السلام: «حُبب إليَّ من دنياكم»[1].

وهذا جزء من حديث شريف رواه أنس رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «حُبِّب إليَّ من دنياكم: النساء، والطيبُ، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»[2].

والجدير بالذكر هنا أن النسائي أخرج في سننه عن أنس ابن مالك أنه قال: «لم يكن شيء أحبَّ إلى رسول الله ﷺ بعد النساء من الخيل».

---

(١) الشفا في تعريف حقوق المصطفى ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي. قال المناوي في فيض القدير: كأنه يقول حبي لهاتين الخصلتين إنما هو لأجل غيري، كما يوضحه قول الطيبي: جيء بالفعل مجهولاً دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه، وإنما هو مجبول على هذا الحب رحمة للعباد ورفقاً بهم، بخلاف الصلاة فإنها محبوبة له بذاتها، ومنه قوله: «أرحنا يا بلال بالصلاة» أي أشغلنا عما سواها بها.

المحبُّ العَظيمُ

وما من مريد للحق رأى النبي ﷺ وجالسه إلّا شغف به حباً، وما قام من مجلسه إلّا وهو من أحبابه ولو كان قبل ذلك من ألد أعدائه..! فكيف كان حال أنس رضي الله عنه في هذا الشأن، وقد أكرمه الله تعالى بصحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وخدمته عشر سنين، لقي فيها من طيب معاملة النبي ﷺ ولطفه وأنسه ما لقي...!

ومهما حاولنا أن نصور محبة أنس للنبي ﷺ فهي أسمى من ذلك وأعلى، وإن كلماتنا ـ مهما بلغت ـ لتقصر عن الإحاطة بها، وتعجز عن التعبير عن مدى نبلها ورفعتها.

حتى أن أنساً رضي الله عنه ما كان يعبر عن هذه المحبة بكلماته بل بدموعه، التي كانت تفيض من عينيه كلما مرت به ذكرى النبي ﷺ وذكرى أيامه السعيدة المشرقة في كنفه ورعايته، وتزداد دموعه رضي الله عنه عندما يتذكر يوم الفراق والوداع، والسيدة فاطمة رضي الله عنها تخاطبه قائلة: (يا أنس أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ في التراب ثم

رجعتم) ولقد سرت هذه المحبة من قلب أنس إلى قلوب تلاميذه، فكان ثابت إذا حدَّث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه[1].

عن أنس أن فاطمة قالت حين قُبض رسول الله ﷺ: وأبتاه إلى جبرائيل أنعاه، وأبتاه من ربِّه ما أدناه! وأبتاه جنة الفردوس مأواه وأبتاه أجاب ربه فدعاه. قال حماد: فرأيت ثابتاً حين حدَّث بهذا الحديث بكى حتى رأيت أضلاعه تختلف[2].

وعزاء أنس الكبير بعد وفاته ﷺ أنه ما كان ينقطع عن رؤيته في المنام، وهذا من وفائه صلى الله عليه وآله وسلم لأنس ورحمته له.

فبهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يعزّي أنساً بنفسه عن نفسه، قال أنس:

ما من ليلة إلّا وأنا أرى فيها حبيبي، ثم يبكي[3].

والجدير بالذكر أن أنساً رضي الله عنه، روى عن رسول الله ﷺ قوله: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا

---

(١) حياة الصحابة.

(٢) أخرجه النسائي وابن ماجه، واللفظ له.

(٣) سير أعلام النبلاء، وأخرجه أحمد في المسند.

يتخيل بي» وقوله: «ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[1].

والجزء الثاني من الحديث ذكره البخاري مرفوعاً من حديث أنس بلفظ: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[2].

---

(١) هكذا رواه الترمذي في الشمائل، وأخرجه أحمد والبخاري، وأخرجه البخاري أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني» ومن حديث أبي هريرة بلفظ «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي» واختلف العلماء في معنى قوله (فسيراني في اليقظة). قال ابن الحاج في المدخل: يحتمل أن يريد أهل عصره ممن لم يهاجر إليه ﷺ، فإنه إذا رآه في المنام فسيراه في اليقظة، ويكون الباري سبحانه جعل رؤيا المنام علماً على رؤيا اليقظة، وأوحى بذلك إليه ﷺ. قال القاضي رحمه الله: وقيل معناه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها، وأنكر بعضهم أن يكون معناه فسيراني في اليقظة أي في الآخرة، إذ يراه في الآخرة جميع أمته من رآه ومن لم يره، وقال القاضي: ولا يبعد عندي أنه محتمل لهذا وأن تكون رؤياه في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لكرامته في الآخرة، ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنعهم رؤية محمد نبيه ﷺ.

(٢) وروى البخاري أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة =

يومان في حياة أنس:

وفي حياة أنس رضي الله عنه يومان هامان، لهما أعظم الأثر في نفسه:

أولهما: يوم السرور والحبور والبهجة والنور وهو يوم هجرته عليه وآله الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة، وتشريفه لها عندما دخلها ﷺ، ففي هذا اليوم تحقق الأمل العذب الذي كان أنس يرجوه وينتظره منذ لقنته أمه الإسلام، وغرست في قلبه محبة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو يومئذٍ لمّا يبلغ العاشرة من عمره، وسعى أنس لهذا اليوم طويلاً حتى اكتحلت عيناه برؤيته عليه الصلاة والسلام: (إني لأسعى في الغلمان يقولون: جاء محمد، فأسعى فلا أرى شيئاً، ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى فلا

= وأربعين جزءاً من النبوة»، قال في هداية الباري: المراد باقتراب الزمان دنو الساعة. ثم قال: وجزء النبوة لا يكون نبوة، فهو نظير قوله عليه الصلاة والسلام: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة» أي من شمائل أهلها، ووجه تخصيص هذه الأجزاء العددية أنه مكث عليه الصلاة والسلام يوحى إليه في المنام ستة أشهر، فإذا نسبتها إلى مدة رسالته التي مدتها ثلاث وعشرون سنة تجد الرؤيا جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. اهـ باختصار. وحديث (السمت الحسن..) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن سرجس. كما في الفتح الكبير.

أرى شيئاً، قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، فكمنا في بعض خراب المدينة، ثم بعثا رجلاً من أهل المدينة ليؤذن بهما الأنصار. فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة، حتى إن العواتق[1] لَفَوق البيوت يتراأينه يقلن: أيهم هو، أيهم هو؟ فما رأينا منظراً مشبهاً به، قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبض فلم أرَ يومين مشبهاً بهما»[2].

وثانيهما: يوم الحزن والأسى واللوعة والفراق، يوم النظرة الأخيرة (آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ، كشف الستارة[3] يوم الاثنين، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، والناس خلف أبي بكر، فكاد الناس أن يضطربوا فأشار إلى الناس أن اثبتوا، وأبو بكر يؤمهم، وألقى السجف وتوفي رسول الله ﷺ: من آخر ذلك اليوم[4]. وفي رواية مسلم (فلما وَضحَ لنا وجه نبي الله ﷺ ما نظرنا منظراً قطّ كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا).

(١) جمع عاتق وهي الشابة أول ما تدرك.

(٢) رواه أحمد في المسند.

(٣) بكسر السين، ما يستر به وكان من عادتهم تعليق الستائر على أبواب بيوتهم.

(٤) هذا لفظ الترمذي، وأخرجه البخاري ومسلم أيضاً.

وهو يوم إنكار أصحاب القلوب لقلوبهم: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا أيدينا من التراب، وإنا لفي دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا)[1].

عزاؤنا فيك يا سيدي يا رسول الله أننا نحبك، أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة؟ فقال: «وماذا أعددت لها»؟ قال: لا شيء إلاّ أني أحب الله ورسوله، فقال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[2].

دليل المحبة:

ولا يكون المحب صادقاً في محبته حتى يحرص كل

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل عن أنس، وأحمد في المسند عنه أيضاً.

(٢) وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في المسند ولفظه في المسند: عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يحب الرجل ولا يستطيع أن يعمل كعمله؟ فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب» فقال أنس: فما رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشيء قط، إلاّ أن يكون الإسلام، ما فرحوا بهذا من قول رسول الله ﷺ. فقال أنس: فنحن نحب رسول الله ﷺ ولا نستطيع أن نعمل كعمله فإذا كنا معه فحسبنا.

الحرص على متابعة محبوبه واقتفاء آثاره، وكذلك كان أنس رضي الله عنه، فقد كان شديد التمسك بسنّته عليه الصلاة والسلام حريصاً كل الحرص عليها حتى عُرف بذلك رضي الله عنه، واشتهر به وورثه عنه تلاميذه.

روى الترمذي عن شعبة عن سيار قال: كنت أمشي مع ثابت البُناني، فمر على صبيان فسلم عليهم، فقال ثابت: كنت أمشي مع أنس فمر على صبيان فسلم عليهم، وقال أنس: كنت مع رسول الله ﷺ فمر على صبيان فسلم عليهم. وفي سير أعلام النبلاء أن همام بن يحيى قال: حدثني من صحب أنس بن مالك قال: لما أحرم أنس لم أقدر أن أكلمه حتى حلَّ من شدة إبقائه على إحرامه.

وفيه أيضاً عن ثُمامة قال: كان أنس يصلي حتى تقطر قدماه دماً مما يطيل القيام رضي الله عنه.

ولقد شهد الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه بشدة تمسك أنس بالسنة، فقال: (ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله ﷺ من ابن أم سليم). يعني أنس بن مالك[1].

وشهد له بذلك أيضاً تلاميذه، قال ابن سيرين: كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر[2]. ووصف الجريري إحرام

(١) البداية والنهاية.
(٢) البداية والنهاية.

أنس للحج فقال: أحرم أنس من ذات عِرق فما سمعناه متكلماً إلاّ بذكر الله عزّ وجلّ حتى أحلّ[1].

كما كان رضي الله عنه شديد الخوف من مخالفة سنة النبي ﷺ، يعتقد أن أي مخالفة لها تحبط العمل وتضيع ثوابه، قال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض أبيات أزواج النبي ﷺ نتحدث، فقال: مَه، فلما أقيمت الصلاة قال: إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعتي بقولي لكم «مه»[2].

وأخرج الإمام أحمد عن ثمامة بن أنس يذكر أن أنساً كان إذا تكلم تكلم ثلاثاً، ويذكر أن النبي ﷺ كان إذا تكلم تكلم ثلاثاً، قال أبو سعيد[3]: وحدثنا بعد ذلك بهذا الحديث أن النبي ﷺ كان يستأذن ثلاثاً.

ولحرصه رضي الله عنه على السنّة، كان يبكي إذا رأى مخالفة لها، قال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف مما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه إلاّ هذه الصلاة وقد صنعتم فيها ما صنعتم. وفي رواية: وهذه الصلاة قد ضُيّعت. يعني ما كان

(١) المرجع نفسه.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) أبو سعيد مولى بني هاشم، وهو أحد رجال السند.

يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع، كانوا يواظبون على التأخير إلاّ عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته[1].

---

(١) البداية والنهاية. وحديث أنس مع الزهري أخرجه البخاري أيضاً. والجدير بالذكر هنا أن أنساً شهد أن صلاة عمر بن عبد العزيز كانت تشبه صلاة رسول الله ﷺ، وذلك لما قدم المدينة وكان عمر أميرها فصلى أنس خلفه فقال: ما صليت خلف إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا. وكان عمر ابن عبد العزيز يتم الركوع والسجود ويخفف القعود والقيام. كذا قال ابن عبد الحكم في كتابه سيرة عمر بن عبد العزيز. وأخرجه أحمد في المسند. لكن يعارض هذا ما نقل في كتاب حياة الصحابة عن أحمد أن أنس بن مالك كان يخالف عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: ما يحملك على هذا؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصلي صلاة، متى توافقها أصلي معك، ومتى تخالفها أصلي وأنقلب إلى أهلي.

ولعل هذا الإنكار كان أولاً، ثم حلّ محله الرضا والثناء بعد أن استدرك عمر ملاحظة أنس رضي الله عنه، فمن المعروف أن عمر بن عبد العزيز كان يحرص حرصاً شديداً على إقامة الصلوات في أوقاتها، وكتب في هذا كتاباً إلى أمراء الأجناد قال فيه: أما بعد: فإن عرى الدين وقوام الإسلام، الإيمان بالله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة، وحافظ على أوقات الصلوات. . . فإن المحافظة عليها حق، واصبر نفسك على ذلك، واجتنب الأشغال عند حضور الصلوات، واكتب بذلك إلى عمالك بالمدائن والقرى وحيث =

وبلغ من محبة أنس للنبي ﷺ أنه كان يحب الطعام الذي كان ﷺ يحبه، أخرج مسلم في صحيحه عن أنس قال:

إن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام. فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومَرَقاً فيه دُبّاء وقديد[1]. قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدباء من حوالي الصفحة، قال: فلم أزل أحب الدباء منذ يومئذ. وفي رواية أخرى: فما صُنع لي طعام بعدُ أقدر على أن يُصنع فيه دباء إلّا صُنع.

وفي مسند أحمد عن سليمان التيمي: ما أتينا أنس بن مالك قط في زمن الدباء إلّا وجدناه في طعامه.

وأخرج الترمذي عن أبي طالوت قال: دخلت على أنس ابن مالك وهو يأكل القرع وهو يقول: يا لك من شجرة ما أحبك إلّا لحب رسول الله ﷺ إياك.

وتدفعه المحبة إلى الاحتفاظ بإناء شرب به النبي ﷺ تبركاً بالأثر الشريف.

= ما كانوا و﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ فإن من يضيع الصلاة فهو لما سواها من شرائع الإسلام أشد تضييعاً...
اهـ انظر هذه الرسالة النفسية كاملة في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم.

(١) الدباء: القرع أي اليقطين.
والقديد: اللحم المجفف.

قال حجاج بن حسان: كنا عند أنس بن مالك فدعا بإناء وفيه ثلاث ضِباب حديد وحلقة من حديد، فأخرج من غلاف أسود، وهو دون الربع وفوق نصف الربع، فأمر أنس بن مالك فجعل لنا فيه ماء، فأتينا به فشربنا وصببنا على رؤوسنا ووجوهنا وصلينا على النبي ﷺ[1].

ومن محبته ﷺ محبة أصحابه رضي الله عنهم، وكذلك كان أنس يحب كل أصحابه عليه الصلاة والسلام، ويقول في هذا:

يقولون: لا يجتمع حب علي وعثمان في قلب، وقد جمع الله حبهما في قلوبنا[2].

وشدة التمسك بالسنة دليل على شدة الورع وكثرة المراقبة لله سبحانه، ولأنس رضي الله عنه مقام رفيع في هذا، يدل عليه قوله:

إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إنْ كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[3].

ومن صور ورعه ما حدّث به أنس بن سيرين قال: كنت مع أنس بن مالك رضي الله عنه عند نفر من المجوس، فجيء

---

(١) مسند أحمد.

(٢) سير أعلام النبلاء.

(٣) أخرجه أحمد في المسند والبخاري في صحيحه.

بفالوذج ـ نوع من الحلوى ـ على إناء من فضة فلم يأكله، فقيل له: حوّله فحوَّله على إناء من خلُنج[1]. وجيء به فأكله[2].

ومن مظاهر تمسكه بالسنّة أنه رضي الله عنه ما كان يرد الطيب، قال ثمامة بن عبد الله: كان أنس لا يرد الطيب، وقال أنس: إن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب[3] وروى الترمذي في الشمائل عن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جرداوين[4]، لهما قبالان[5]، فحدثني ثابت بعدُ عن أنس: أنهما كانتا نعلي النبي ﷺ.

---

(١) خلنج: نوع من الشجر، أي وعاء من خشب، ومن المعلوم أن الإسلام حرم الطعام والشراب في آنية الذهب والفضة.

(٢) أخرجه البيهقي بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البخاري والنسائي والترمذي واللفظ له.

(٤) أي لا شعر عليهما.

(٥) تثنية قبال: وهو السير الذي يعقد فيه الشسع الذي يكون بين اصبعي الرجل.



جهـــادوَعــلم

- جهَادُه رضي الله عنه .
- المحدث الكبير .
- أسلوبه في رواية السنة .
- نماذج من مروياته .
- أشهر تلامذته .



جهـــاد وعـــلم

جهاده رضي الله عنه:

لما شُرع الجهاد بعد هجرة النبي ﷺ لم يكن أنس يومئذٍ في سن تمكنه من الجهاد، وما كان ﷺ يسمح للصغار أن يشتركوا في الجهاد، ولهذا لم يشارك أنس رضي الله عنه في الجهاد في بدر ولا في أحد، ولكنه حضرها كخادم للنبي ﷺ، وقد مرّ معنا ما يدل على ذلك، ووصفه لجهاد أم سليم وعائشة رضي الله عنهما في أحد يؤكد حضوره فيها، وقد روى الذهبي عن موسى بن أنس أن أنساً غزا ثمان غزوات[1].

والراجح أنه شارك في الخندق وما بعدها، ففي عام الخندق بلغ خمس عشرة سنة. وهو السن الذي يؤهله للاشتراك الفعلي في الجهاد في سبيل الله تعالى، ووصف لنا رضي الله عنه كيف شارك النبي ﷺ أصحابه في حفر الخندق فقال: كانوا يرتجزون، ورسول الله ﷺ معهم وهم يقولون:

---

(١) سير إعلام النبلاء.

اللهم لا خيرَ إلاّ خيرُ الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجره

وفي رواية أخرى عن أنس أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يقولون يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً
على الإسلام ما بقينا أبداً

أو قال: على الجهاد. شك حمّاد ـ وهو أحد رجال السند ـ والنبي ﷺ يقول:

اللهمّ إن الخير خير الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجره

وفي رواية أخرى عن أنس أنه ﷺ قال:

اللهم لا عيش إلاّ عيش الآخرة . . . .[1].

وشهد رضي الله عنه الحديبية، وبايع تحت الشجرة[2]. ووصف لنا مناسبة الآية الكريمة ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ وما بعدها. فقد أخرج مسلم في صحيحه عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: لما نزلت ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله» ـ إلى قوله ـ فوزاً عظيماً ﴾[3] مَرجِعَهُ من الحديبية

(١) صحيح مسلم.
(٢) سير إعلام النبلاء.
(٣) الآيات ١ ـ ٥ من سورة الفتح.

قال: «لقد أنزلت عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا جميعاً» وزاد الترمذي في روايته: فقالوا: هنيئاً مَرِيّاً رسول الله، لقد بيّن الله ماذا يُفْعَلُ بكَ، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار ـ حتى بلغ ـ فوزاً عظيماً﴾[1].

وشهد رضي الله عنه غزوة خيبر وشارك في حصارها والهجوم عليها، وكما عوَّدنا في كل مشاهده، وصَفَ ذلك، فقال: إن رسول الله ﷺ غزا خيبر، قال: فصلينا عندها صلاة الصبح بغَلَس[2]، فركب نبي الله ﷺ وركب أبو طلحة، وأنا رديف[3] أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زُقاق خيبر، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ، وانحسر الإزار عن فخذ نبي الله ﷺ، وإني لأرى بياض فخذ نبي الله ﷺ[4]،

---

(١) وأخرج الحديث أيضاً البخاري وأحمد.

(٢) أي بكر في صلاة الصبح.

(٣) أي: أنا راكب خلف أبي طلحة على دابته.

(٤) قال النووي في شرح الحديث: انحسر بغير اختياره لضرورة الإغارة والإجراء، وليس فيه أنه استدام كشف الفخذ مع إمكان الستر، وأما قول أنس: (وإني لأرى بياض فخذه ﷺ) فمحمول على أنه وقع بصره عليه فجأة لا أنه تعمده، وأما رواية البخاري عن أنس أن النبي ﷺ حسر الإزار فمحمولة على أنه انحسر كما في رواية مسلم ا هـ.

وبهذا يسقط احتجاج المستدلين بهذا الحديث على أن الفخذ =

. . . .

ليست من العورة، فالتأويل الذي ذهب إليه النووي رحمه الله تعالى، متعين، لأنه ثبت أنه ﷺ نهى عن كشف الفخذ، فقد روى أبو داود وابن ماجه والحاكم والبزار عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبرز فخذيك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت» وروى البخاري في تاريخه وفي صحيحه تعليقاً وأحمد والحاكم عن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ على معمر، وفخذاه مكشوفتان فقال: «يا معمر غط فخذيك فإن الفخذين عورة». وروى الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ «الفخذ عورة». وثمة أدلة أخرى بسطناها في رسالتنا (نظرات في كتاب الحلال والحرام في الإسلام) فلتراجع. والجدير بالذكر أن القائلين بأن الفخذ ليست من العورة يحتجون أيضاً بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له... الحديث.

ولا حجة لهم في الحديث، كما قال النووي في شرحه له، لأنه مشكوك في المكشوف هل هو الساقان أو الفخذان، فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ، بينما الأحاديث الشريفة التي ذكرت بعضها آنفاً، تجزم بلزوم ستره. ولذلك ذهب الأئمة الأربعة إلى تحريم كشف الفخذ، وما يروى عن الإمام مالك من جواز كشف الفخذ غير صحيح، قال العلامة المالكي الشيخ محمد يوسف التونسي الشهير بالكافي: إن المفتى به في الفخذ أنه عورة وإن كشفه حرام في غير الخلوة، وإن النظر إليه حرام، وإن لمسه ولو من فوق حائل =

فلما دخل القرية قال: «الله أكبر، خَربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» قالها ثلاث مرار، وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد. قال عبد العزيز - وهو أحد رجال السند - وقال بعض أصحابنا: والخميس[1]، قال: وأصبناها عَنْوة[2].

وكذلك شارك رضي الله عنه في معركة مؤتة[3] صرح بذلك رضي الله عنه فقال:

حضرتُ حرباً فقال عبد الله بن رواحة: يا نفسي
ألا أراك تكرهين الجنة
أحلف بالله لتنزلنّه
طائعة أو لتكرهنّه[4]

والمعروف والمشهور أن المعركة التي أنشد فيها عبد الله

= حرام، فمن أفتى بجواز كشفه يكون آثماً حيث أفتى بجواز محرم في مذهب إمام دار الهجرة ا هـ من الدرة الثمينة في الكلام على حكم العورة على مذهب مالك بن أنس عالم المدينة.

(١) الخميس: الجيش. سمي خميساً لأنه خمسة أقسام: ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب.

(٢) عنوة: أي قهراً لا صلحاً. والحديث متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٣) موضع بارض البلقاء في أطراف الشام.

(٤) أخرجه ابن ماجه. قال في الزوائد: إسناده حسن.

ابن رواحة هذا الشعر هي معركة مؤتة. وقد استشهد فيها بعد ذلك.

وقد يقول قائل: كيف حضر أنس معركة مؤتة، وهو الذي روى نعي النبي ﷺ أمراء الجيش الثلاثة لأصحابه في المدينة، وذلك قبل رجوع الجيش بعد أن أخبره الوحي باستشهادهم؟!

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

«أخذ الراية زيد[1] فأصيب، ثم أخذها جعفر[2] فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب - وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان[3] - ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة[4]

---

(١) هو زيد بن حارثة أمره ﷺ حين أرسله في جمادى الأولى سنة ثمان على جيش مؤتة وقال: إن قتل زيد فجعفر - أي أميرهم - وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة. كذا في هداية البار ي.

(٢) جعفر بن أبي طالب.

(٣) أي يسيل الدمع منهما.

(٤) أي أخذها من غير تأمير منه ﷺ، ولكنه رأى المصلحة في ذلك، لكثرة العدو وشدة البأس، وخوف هلاك المسلمين، ورضي عليه الصلاة والسلام بما فعل، فصار ذلك أصلاً في الضرورات، إذا عظم الأمر واشتد الخطب وتضاعف الخوف سقطت الشروط. انظر هداية الباري.

ففُتح له» وفي رواية أخرى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «. . . حتى أخذها سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه».

وليس في رواية أنس لهذا الحديث دليل على أنه لم يحضر معركة مؤتة، إذ من المحتمل أن يكون أنس روى الحديث عن بعض الصحابة الذين سمعوه من النبي ﷺ، ولم يصرحْ بذلك، وقد كان الصحابة يروي بعضهم عن بعض دون أن يصرحوا بالرواية عن بعضهم بسبب صدقهم وعدالتهم وثقة بعضهم ببعض، وسيمر معنا ما يدل على أن أنساً لم يسمع كل ما رواه من النبي ﷺ مباشرة، بل روى بعضه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ.

وأخرج أحمد في المسند أن أنساً سئل: هل غزوت مع نبي الله ﷺ؟

قال: نعم غزوت معه يوم حنين.

ولم ينقطع رضي الله عنه عن الجهاد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، فقد شارك في حروب الردة، فشهد أعظم معاركها وأشدها، وهي معركة اليمامة. ووصف لنا مشهداً من مشاهدها. فقال: مررت يوم اليمامة بثابت بن قيس بن شماس وهو يتحنَّط[1]، فقلت: يا عم أما ترى ما يلقى

(١) أي يستعمل الحنوط في ثيابه عند خروجه إلى القتال، كأنه أراد بذلك الاستعداد للموت وتوطين النفس عليه بالصبر على القتال. =

المسلمون؟! أي وأنت ههنا، قال: فتبسم ثم قال: الآن يا ابن أخي. فلبس سلاحه وركب فرسه حتى أتى الصف فقال: أف لهؤلاء ولما يصنعون، وقال للعدو: أف لهؤلاء ولما يعبدون، خلّوا عن سبيله - أو قال: سننه -. يعني فرسه، حتى أصلى بحرّها، فحمل فقاتل حتى قُتل[1].

والجدير بالذكر هنا أن النبي ﷺ وصف ثابت بن قيس بأنه من أهل الجنة، نقل ذلك أنس رضي الله عنه فقال: لما نزلت هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾ إلى آخر الآية[2]، جلس ثابت بن قيس في بيته، وقال: أنا من أهل النار، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ: «يا أبا عمرو ما شأن ثابت، اشتكى؟» قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية وقد علمت أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة» وفي رواية أخرى: زاد أنس: فكنا نراه يمشي بين

= والحنوط - كما في النهاية -: ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة.

(١) سنن البيهقي.

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات وتتمتها ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾.

أظهرنا رجل[1] من أهل الجنة[2].

وكما شهد رضي الله عنه أقسى وأكبر حروب الردة، شهد كذلك أكبر وأعظم حروب الفتح في العراق، معركة القادسية، دل على ذلك قوله في عبد الله بن أم مكتوم:

استخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة، ولقد رأيته يوم القادسية معه راية سوداء[3].

ومرّ معنا أنه شارك في حصار تستر وأنه تعرَّض خلال الحصار لمخاطر جسيمة.

كل ذلك يؤكد لنا أن حياة أنس رضي الله عنه كانت حياة فخمة ضخمة. حياة كفاح ونضال مرير من أجل الإسلام، تثبيتاً لدعوته، ونشراً لها في بقاع الأرض، حياة استهلكت زهرة شبابه واستمرت عقوداً متعددة من عمره.

وقد قُدّر له أن يعيش ليشهد ثمار انتصار الإسلام وامتداد دوحته العظيمة فوق أقطار المشرق والمغرب، فهل مالت به الدنيا ومال إليها ليعيش حياة وادعة هادئة مع ذكرياته العطرة

---

(١) في بعض الأصول (رجلاً) وفي بعضها (رجل) وهو الأكثر، وكلاهما صحيح الأول على البدل من الهاء في (نراه) والثاني على الاستئناف. انظر النووي على مسلم.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) مسند أحمد.

في ظلال النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أم انتقل إلى ميدان آخر من ميادين الجهاد والكفاح؟

حاشا لإنسان خدم رسول الله ﷺ أن يختار حياة الراحة والهدوء، بعد أن شهد حياة رسول الله ﷺ، ورأى كيف كانت مزدحمة بجلائل الأعمال، فلم يغمد ﷺ سيفه حتى توفاه الله، ولم يترك ميداناً من ميادين جهاده حتى اختاره الله لجواره، فأنّى لخادم النبي ﷺ أن يميل إلى حياة الراحة والهدوء!!

لقد انتقل رضي الله عنه من ميادين الجهاد المسلح إلى ميدان أوسع وأرحب، بقي يناضل فيه ويجاهد إلى أن لحق بسيده رسول الله ﷺ، ذلك الميدان هو ميدان الجهاد العلمي والفكري، ولم ينس رضي الله عنه وهو في ميدان العلم والفكر، لم ينس ميدان الجهاد. بل بقي ملتفتاً إليه مستعداً له، فكان واحداً من الرماة المصيبين، ويأمر ولده أن يرموا بين يديه، وربما رمى معهم فيغلبهم بكثرة إصابته[1] فعن ثمامة قال: كان أنس يجلس، ويطرح له فراش ويجلس عليه، ويرمى بين يديه، فخرج علينا يوماً ونحن نرمي، فقال: يا بني بئس ما ترمون، ثم أخذ القوس فرمى فما أخطأ القرطاس[2].

---

(١) سير إعلام النبلاء.

(٢) عن مجمع الزوائد. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

ورغم نشوته الفكرية ولذته العلمية في ظلال السنّة النبوية لم ينس نشوة الجهاد ولذة النضال في ظلال السيوف قال أنس: حضرت عند مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر، واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلاة، فلم نصلّ إلّا بعد ارتفاع النهار فصلينا ونحن مع أبي موسى ففتح لنا. قال أنس: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها[١].

---

(١) صحيح البخاري.

المحدث الكبير

هذه أبرز صفات أنس رضي الله عنه، فهو أحد كبار رواة الإسلام من الصحابة الكرام، الذين قام بهم صرح السنة المطهرة، والذين شرفُوا بتلقيها من النبي ﷺ، فحفظوها وعلموها تلاميذهم من علماء التابعين، كانت قلوبهم الأرض الطيبة التي بذر فيها النبي ﷺ بذور الخير بيده المباركة، فأعطت بعد زمن يسير عطاء خيّراً طيباً لم تعرف الإنسانية أنبل وأطيب منه، ولا زالت وستبقى إلى قيام الساعة تنتشي بعبيره وتستضيء بنوره.

وقد كان أنس رضي الله عنه من هؤلاء الحفظة النقلة، الذين اختارهم الله سبحانه ليكونوا أساتذة الإسلام، والأمناء عليه بعد رسول الله ﷺ، بل كان رضي الله عنه من كبار حفاظهم، فلم يسبقه في رواية السنّة سوى اثنين منهم، وهما: أبو هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فهو ثالث الصحابة حفظاً للسنّة ورواية لها.

ووراء كثرة روايته للسنة عاملان هامان:

أولهما: ملازمته للنبي ﷺ أثناء خدمته لـه مدة عشـر سنوات، مما ساعده على أن يتلقى الكثير من السنة عنه ﷺ مباشرة.

وثانيهما: امتداد عمره رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، الذي أعطاه فسحة زمنية كبيرة لتعليم السنّة وتحفيظها للناس، فقد عاش بعد النبي ﷺ نيفاً وثمانين سنة. قضى العشرين الأولى منها متنقلاً في ميادين الجهاد أثنـاء حروب الـردة والفتح، ثم استقر بعد ذلك في البصرة، فمكث فيها مدة تزيد على ستين سنة، وهو يعلم الناس سنة رسول الله ﷺ. وتمكن خلال هذه المدة من تكوين طبقة من العلماء في البصرة يعتبرون سادة علماء التابعين! كان لهم أثر كبير في تاريخ الإسلام الفكري منهم، الحسن البصري، وسليمان التيمي، وثـابت البُنـاني، ومحمـد بن سيـرين، وأنس بن سيـرين، وسعيـد بن جبيـر، وقتـادة، وحُميـد الـطويـل، وغيرهم[1].

والذين رووا عنه أكثر من هؤلاء بكثير، منهم: الزهري، وعمـر بن عبد العـزيـز، ومكحـول، وعيسى بن طهمـان، وعمر بن شاكر، وابن المنكدر، وشعيب بن الحبحاب[2].

---

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) سير أعلام النبلاء.

كما روى عنه أولاده: موسى والنضر وأبو بكر، وحفيداه ثمامة وحفص[1].

وقد قسم الذهبي تلاميذه الذين روَوا عنه إلى ثلاثة أقسام فقال: بقي أصحابه الثقات إلى بعد الخمسين ومائة، وبقي ضعفاء أصحابه إلى بعد التسعين ومائة، وبقي بعدهم ناس لا يوثق بهم، بل اطرح حديثهم جملة، كإبراهيم بن هدبة ودينار أبو مكيس، وخراش بن عبد الله، وموسى الطويل، عاشوا مدة بعد المائتين فلا اعتبار بهم، وإنما كان بعد المائتين بقايا ممن سمع من ثقات أصحابه، كيزيد بن هارون وعبد الله بن بكر السهمي ومحمد بن عبد الله الأنصاري وأبي عاصم النبيل وأبي نعيم. وقد سرد صاحب التهذيب نحو مائتي نفس من الرواة عن أنس[2].

ولم يقتصر أنس على السنة التي تلقاها مباشرة من النبي ﷺ، بل روى قسماً آخر عن كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وقد حمله حبه للسنة للرحلة في طلبها، فإذا ما سمع حديثاً من تابعي، ولم يكن حافظاً لهذا الحديث، بادر مسافراً إلى الصحابي الذي يرويه عن النبي ﷺ ليتلقاه عنه مباشرة، يدل على ذلك أنه لما سمع من محمود بن الربيع حديث

---

(١) تنوير الحوالك.

(٢) أعلام النبلاء.

عتبان بن مالك: (أصابني بعض الشيء فبعثت إلى رسول الله: إني قد أصابني في بصري، وأحب أن تأتين فتصلي في منزلي...) تاقت نفس أنس إلى سماعه الحديث من عتبان مباشرة، وكان عتبان في المدينة، قال أنس: فقدمت المدينة فلقيت عتبان، فحدثني هذا الحديث، فقلت لابني: اكتبه[1].

أما الصحابة الذين روى عنهم أنس فعددهم كبير أشهرهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعبد الله بن رواحة، وفاطمة الزهراء، وثابت بن قيس بن شماس، وعبد الرحمن ابن عوف، وابن مسعود، ومالك بن صعصعة، وأبو ذر، وأبي بن كعب، وأبو طلحة، ومعاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأسيد بن حضير، وأبو هريرة، وأمه أم سليم، وخالته أم حرام، وأم الفضل امرأة العباس رضي الله تعالى عنهم[2].

وقد صرح أنس رضي الله عنه بأنه لم يتلق كل ما رواه من النبي ﷺ مباشرة، ففي المستدرك للحاكم أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدَّث بحديث عن رسول الله ﷺ، فقال رجل: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ فغضب غضباً شديداً

---

(١) مقدمة فتح الباري للسيد أحمد صقر.

(٢) تهذيب التهذيب، والنبلاء.

وقال: والله ما كل ما نحدثكم به سمعناه من رسول الله ﷺ، ولكن كان يحدث بعضنا بعضاً ولايتهم بعضنا بعضاً.

أسلوبه في رواية السنة:

امتاز أنس رضي الله عنه بحيطته الكبيرة في رواية السنّة حذر الخطأ، يبدو لنا هذا من خلال النقاط التالية:

١ ـ كان رضي الله عنه يقتصد في رواية السنّة خشية الخطأ، ويقول لتلاميذه:

لولا أن أخشى أن أخطىء لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ لكنه قال: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1] وكان تلاميذه يلحون عليه في أن يكثر الحديث، ذكر ثابت أنه قيل لأنس: ألا تحدثنا، قال: يا بني إنه من يكثر يُهجَر[2].

٢ ـ ويختم حديثه عن النبي ﷺ بقوله: (أو كما قال). روى الحاكم عن ابن عون قال: كان أنس قليل الحديث عن

---

(١) أخرجه أحمد، والحديث في صحيح البخاري أيضاً بلفظ (من تعمد علي كذباً...) ومع اقتصاد أنس في رواية الحديث فإنه يعتبر من المكثرين، وذلك بسبب تأخر وفاته، فاحتيج إليه ولم يمكنه الكتمان، ولو حدّث بجميع ما عنده لكان أضعاف ما حدث به. انظر فتح الباري.

(٢) سير أعلام النبلاء.

رسول الله ﷺ، وكان إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ قال: أو كما قال رسول الله ﷺ.

ونقل مثل هذا عن محمد بن سيرين قال: كان أنس إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه، قال: أو كما قال رسول الله ﷺ[1]

٣ ـ وكان رضي الله عنه يستعين بالكتابة، ويأمر بها كما مر معنا، فإذا ألح عليه تلاميذه ليحدثهم لجأ إلى أحاديثه المكتوبة، قال معبد بن هلال: كنا إذا أكثرنا على أنس بن مالك رضي الله عنه أخرج إلينا مجالاً[2] عنده، فقال: هذه سمعتها من النبي ﷺ[3]. ورُوي عن ثمامة قال: قال لنا أنس: قيدوا العلم بالكتابة[4].

٤ ـ وإذا تحدث يعيد كلماته ثلاثاً ليحفظها عنه تلاميذه مقتدياً بالنبي ﷺ كما مرّ معنا.

٥ ـ ويأمر تلاميذه أن يطبقوا على أنفسهم العلم الذي تعلموه، فالعلم لا يكون علماً في نظر أنس حتى يعمل به صاحبه، ومن أقواله في هذا: تعلموا ما شئتم أن تعلّموا فإن الله لا

---

(١) ابن ماجه.
(٢) مجال جمع مجلة بالفتح الصحيفة فيها الحكمة وكل كتاب.
(٣) المستدرك للحاكم.
(٤) مجمع الزوائد.

يأجركم على العلم حتى تعملوا به، إن العلماء همتهم الوعاية، وإن السفهاء همتهم الرواية[1].

٦ ـ ويسعى ليغرس في نفوس تلاميذه الثقة به حتى يكتمل انتفاعهم به، فالتلميذ ينتفع من أستاذه بمقدار ثقته به، ولهذا كان رضي الله عنه يقول لتلميذه ثابت البناني: يا ثابت خذ عني فإنك لن تأخذ عن أوثق مني، إني أخذته عن رسول الله ﷺ وأخذه رسول الله ﷺ عن جبريل، وأخذه جبرائيل عن الله عزّ وجلّ[2].

لهذا كله أصبح رضي الله عنه حجة أهل الحق في العراق، وقف في وجه أصحاب الأهواء الفاسدة والعقائد المنحرفة الذين ظهروا أول ما ظهروا في العراق، وعرف أهل الفضل والعلم له هذه المكانة الرفيعة، فلما توفي رضي الله عنه كانت وفاته في نظرهم خسارة كبيرة للعلم، فقد كان ركناً كبيراً من أركان الحقيقة وحصناً حصيناً للسنة المطهرة. قال مُوَرِّق العِجْلي لما توفي أنس بن مالك: ذهب اليوم نصف العلم، فقيل: وكيف ذاك يا أبا المغيرة؟! قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا له: تعال إلى من سمعه منه[3].

---

(١) حياة الصحابة.

(٢) سنن الترمذي.

(٣) مجمع الزوائد.

لقد صُدم رضي الله عنه بظهور أهل الأهواء في العراق، وسبب له ذلك ألماً نفسياً حاداً تشعر بمداه من خلال كلماته التالية التي قالها لما سمع قوماً يتمارون في الحوض:

ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يتمارون في الحوض، لقد تركت عجائز خلفي ما تصلي امرأة منهم إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي ﷺ[1].

وبلغ به الورع والحذر من الخطأ في الرواية في آخر حياته إلى الامتناع في كثير من الأحيان عن التحديث، وإذا سئل عن مسألة أحال السائل على بعض تلاميذه من علماء التابعين، فقد سئل يوماً عن مسألة فقال: عليكم بالحسن فاسألوه فإنه حفظ ونسينا[2].

---

(١) تفسير القرطبي.

(٢) نصب الراية.

نماذج من مروياته عن النبي ﷺ

في فضل العلم والتعلم:

١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«نَضَّرَ اللهُ عبداً سمع مقالتي فوعاها، ثم بلّغها عني فرُبَّ حاملِ فِقه غيرِ فقيه، ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقَهُ مِنهُ».

أخرجه أحمد وابن ماجه واللفظ له. وله شواهد ثابتة عن زيد بن ثابت.

في الإيمان:

٢ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثَلاث مِن أصلِ الإيمان: الكَفّ عمّن قالَ لا إلهَ إلاّ اللهُ، ولا يُكفّرهُ بِذَنْب، ولا يُخرِجه من الإسلام بِعَمل، والجهادُ ماض منذُ بعثني الله إلى أن يُقاتلَ آخرُ أمّتي الدَّجالَ، لا يُبطله جَوْرُ جائِر ولا عَدلُ عادِل. والإيمانُ بالأقدارِ».

أخرجه أبو داود، وضعَّفه في الجامع الصغير، وفي سنده مجهول[1].

في الصلاة:

٣ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:
«ليسَ بينَ العبدِ والشّركِ إلّا تَركُ الصلاة؛ فإذا تَركَها فقد أشرَكَ»[2].

أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه واللفظ له.

٤ ـ عن أنس قال: كانت عامةُ وصية رسول الله ﷺ حين حضرَه الموتُ:

«الصلاةَ وما ملكت أَيْمانكم» حتى جعل رسول الله ﷺ يُغَرغِرُ بها صدرُه ولا يكاد يفيض بها لسانُه.

أخرجه النسائي وابن ماجه وأحمد واللفظ له.

في عيادة المرضى وفي الجنائز:

٥ ـ عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أيّما رجل يعودُ مريضاً فإنما يخوضُ في الرحمةِ، فإذا قَعَدَ عند المريضِ غَمرته الرحمةُ».

قال: فقلتُ يا رسولَ الله: هذا للصحيح الذي يعـود

---

(١) فيض القدير.

(٢) انظر شرح الحديث في مسند أنس.

المريض، فما للمريض؟ قال:

«تُحَطُّ عنه ذُنُوبه».

أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني في الصغير والأوسط وأحمد واللفظ له.

٦ ـ عن أنس عن النبي ﷺ:

«ما مِن مَيِّت يُصلي عليه أمة من المسلمين يبلغُون أن يكونوا مائة، فيشفعون له إلّا شُفِّعوا فيه».

أخرجه النسائي وأحمد واللفظ له، وله شاهد في صحيح مسلم من حديث عائشة.

في الأذكار والدعوات:

٧ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لله أهلينَ من الناس» قالوا: يا رسول الله مَن هم؟ قال: «هُم أهلُ القرآن أهلُ اللهِ وخاصَّتُه».

أخرجه النسائي والحاكم وابن ماجه واللفظ له. وإسناده صحيح[1].

٨ ـ عن أنس قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي أريدُ سَفَراً فزوِّدني، قال: «زَوَّدكَ اللهُ التقوى» قال: زِدني، قال: «وغفر ذنبك»، قال: زِدني بأبي أنتَ وأمي، قال: ويسّر لك الخيرَ حيثُ ما كنت».

(١) زوائد ابن ماجه.

أخرجه النسائي والحاكم والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن غريب.

في الزكاة:

٩ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ الصَّدقة لتُطفىء غَضَبَ الرَّبّ وتدفعُ مِيتَةَ السّوء».

أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب.

في الصوم:

١٠ ـ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

«هذا رمضانُ قد جاءَ، تُفتح فيه أبوابُ الجنةِ وتُغلقُ فيه أبوابُ النار، وتُسلسل فيه الشياطين».

أخرجه أحمد وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة.

في الحج:

١١ ـ عن أنس قال: قالوا يا رسول الله الحجّ في كل عام؟ قال:

«لو قلتُ نعم لوجَبَت، ولو وجبت لم تَقُوموا بها، ولو لم تقوموا بها عُذِّبتُم».

أخرجه ابن ماجه، وإسناده صحيح كما في الزوائد.

في الأنكحة:

١٢ ـ عن أنس أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج فقال له النبي ﷺ:

«اذهب فانظر إليها، فإنه أحرَى أن يُؤدم بينكما» ففعل، فتزوجها، فذكر من موافقتها.

أخرجه الترمذي وابن ماجه واللفظ له وإسناده صحيح ورجاله ثقات كما في الزوائد.

في الجهاد:

١٣ ـ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

«لغُدوَة في سبيل الله أو رَوحة خير من الدنيا وما فيها، ولقَابُ قوس أحدكم، أو مَوضِعُ يدِه في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولَو أنَّ امرأة من نساءِ أهل الجنةِ اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولَنَصيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها».

أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي واللفظ له.

في اللباس والزينة:

١٤ ـ عن أنس قال: حدثتني أختى قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ وأنت يومئذٍ غلام، ولك قَرنانِ أو قُصَّتانِ[١]،

(١) القصة: الخصلة من الشعر.

فمسحَ رأسَك وبَرَّكَ عليك وقال:

«احلِقُوا هذين، أو قُصوهما، فإنّ هذا زِيّ اليهودِ».

أخرجه أبو داود: وسكت عنه.

في الأطعمة والأشربة:

١٥ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من السّرَفِ أن تأكلَ كُل ما اشتَهيت».

أخرجه ابن ماجه، وإسناده ضعيف كما في الزوائد.

في الأحكام والمعاملات:

١٦ ـ عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العَارِيةُ مُؤدَّاة، والمِنحةُ مَردودة».

أخرجه ابن ماجه، وإسناده صحيح. كما في الزوائد[1].

في الأخلاق:

١٧ ـ عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تَحاسدوا، ولا تَدابروا، وكونوا عبادَ الله إخواناً، ولا يَحِل لمسلم أن يَهْجُرَ أخاه فوقَ ثلاثة أيام».

أخرجه البخاري.

في الطب:

١٨ ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ

(١) انظر شرح الحديث في مسند أنس.

حيثُ خلَق الدّاء خلقَ الدَّواءَ فَتداوَوا».

أخرجه أحمد وله شواهد صحيحة عن غير أنس.

في التفسير وفضائل السور والآيات:

١٩ - عن أنس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فوربك لنَسألنّهم أجمعينَ عمّا كانوا يعملون﴾[1] قال: «عن قول لا إله إلّا الله».

أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب.

في الشمائل النبوية الشريفة:

٢٠ - عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ أزهَرَ اللونِ، كأنَّ عرقَهُ اللّؤلُؤُ، إذا مشى تَكفَّأ، ولا مَسستُ دِيباجة ولا حريرة ألينَ من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شَمِمت مِسكَة ولا عَنبَرة أطيَبَ من رائِحةِ رسولِ الله ﷺ.

أخرجه مسلم.

في المناقب:

٢١ - عن أنس عن النبي ﷺ قال: «آيَةُ الإيمانِ حبُّ الأنصار، وآية النّفاقِ بغض الأنصار».

متفق عليه واللفظ للبخاري.

---

(١) الآيتان ٩٢ - ٩٣ سورة الحجر.

في الفتن:

٢٢ ـ عن أنس عن رسـول الله ﷺ قال:

«تكونُ بينَ يدي الساعة فِتَن كقطع الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً، ويُمسي كافراً. ويُمسي مؤمنـاً ويُصبح كافراً، يبيعُ أقوام دينَهم بعَرضٍ من الدنيا».

أخرجه الترمذي، وله شواهد عنده وعند غيره.

في صفات يوم القيامة:

٢٣ ـ عن أنس عن النبي ﷺ:

«يقولُ الله تبارك وتعالى لأهون أهلِ النار عذاباً: لو كانَت لكَ الدّنيا وما فيها أكُنتَ مُفتدِياً بها فيقولُ نعم، فيقول: قد أردتُ منكَ أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدمَ، أن لا تُشركَ ـ أحسبه قال ـ ولا أُدخلك النار، فأبَيتَ إلاّ الشرك».

متفق عليه واللفظ لمسلم.

من فقه أنس

اعتمد أنس رضي الله عنه على ذخيرته الكبيرة من السنة النبوية الشريفة ليعرف أحكام المسائل التي عرضت له، وكره تفريع المسائل وتصور أحكام ما لم يقع من الحوادث، شأنه في هذا شأن أكثر الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا قل اعتماده على استنباط الأحكام بواسطة الاجتهاد.

وعلى الرغم أن كتب السنّة والتفسير حافلة بآراء فقهية كثيرة لأنس بن مالك، إلاّ أن المتأمل فيها يجدها في حكم الأحاديث المرفوعة، إلى النبي ﷺ في الأغلب، ويرى فيها ميلاً واضحاً عند أنس رضي الله عنه إلى جانب التيسير والتسهيل، ولا شك أنه في هذا متأثر بطول صحبته للنبي ﷺ، الذي اشتهر عنه أنه ما خيِّر بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما.

وفيما يلي مجموعة من آرائه الفقهية اخترتها من كتب السنّة النبوية المعتمدة.

* لا يرى الوضوء لكل صلاة. ويقول: كان أحدنا يكفيه

الوضوء ما لم يحدث[1].

* ويرى جواز الوضوء من الماء الذي سقط فيه شيء من الماء المستعمل؛ فقد سئل أنس عن الرجل يغتسل من الجنابة فينتضح من غسله في الماء الذي يغتسل منه؟ قال: لا بأس به[2].

* أكثر الحيض في رأي أنس عشرة أيام، والزائد، استحاضة، ويقول: لتنتظر الحائض خمساً سبعاً ثمانياً تسعاً عشراً، فإذا مضت العشر فهي مستحاضة[3]

* وأكثر النفاس في رأي أنس أربعون يوماً ويقول: وقّتَ رسول الله ﷺ للنفساء أربعين يوماً، إلّا أن ترى الطهر قبل ذلك[4]. وفي المصنف أن أنساً كان يقول: تنتظر البكر إذا ولدت وتطاول بها الدم أربعين ليلة ثم تغسل. ٣١٢/١.

* كان أنس يرى وجوب الوضوء على من أكل طعاماً مطبوخاً، ويضع يديه في أذنيه ويقول: صُمّتا إن لم أكن

---

(١) المصنف للإمام عبد الرزاق الصنعاني ٥٦/١ وأخرجه البخاري أيضاً.
(٢) المصنف ٩٣/١.
(٣) أبو يعلى في مسنده، وهو في المصنف بلفظ: أجل الحيض عشرة ثم هي مستحاضة ٢٩٩/١.
(٤) ابن ماجه بإسناد صحيح.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «توضؤوا مما مست النار»[1] وهذا كان أولاً ثم تركه ﷺ لدليل ما أخرجه أبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ترك الوضوء مما غيرت النار.

ويبدو أن أنساً رجع عن رأيه، فقد أخرج الإمام أحمد عن أنس بسند رجاله ثقات أنه قال: كنت أنا وأمي وأبو طلحة جلوساً، فأكلنا لحماً وخبزاً، ثم دعوت بوضوء، فقالا: لم تتوضأ، فقلت: لهذا الطعام الذي أكلنا، فقالا: أتتوضأ من الطيبات؛ لم يتوضأ منه من هو خير منك.

* تستحب المضمضة بالماء لمن أراد الصلاة إذا كان في فمه أثر شراب أو طعام، فقد كان أنس يمضمض من اللبن ثلاثاً، ويقول حلب رسول الله ﷺ شاة وشرب لبنها ثم دعا بماء فمضمض فاه وقال «إن له دسماً»[2] والدليل على أن فعله ﷺ محمول على الاستحباب ما أخرجه أبو داود بسند حسن عن أنس أن النبي ﷺ شرب لبناً فلم يمضمض ولم يتوضأ وصلى. وليس بين الحديثين تعارض. فمن المعلوم أنه ﷺ كان يترك الأمر المستحب أحياناً ليبين عدم وجوبه، لأن المداومة عليه تدل على وجوبه.

---

(١) ابن ماجه ومالك.

(٢) اخرجه ابن ماجه وله شاهد عند البخاري من حديث ابن عباس وانظر المصنف ١/١٧٨.

* يرى أنس مشروعية المسح على الخفين في الوضوء بدل غسل القدمين، ففي المصنف عن عاصم قال: رأيت أنس بن مالك بال ثم قام فتوضأ فمسح على خفيه وعلى عمامته، ثم قام فصلى صلاة مكتوبة.

لكني أرى أن مسحه على العمامة غير ثابت لأن أنساً كان يروي أن النبي ﷺ كان يدخل يده تحت العمامة إذا أراد مسح رأسه، ففي سنن أبي داود وابن ماجه أن أنساً قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وعليه عمامة قِطْرية، فأدخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة.

ولعل عاصماً لم يلحظ أنساً عندما أدخل يده تحت العمامة فظنه مسح فوقها.

* يرى أنس جواز أن يأتم الغاسل بالماسح ويروي أنه كان مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: «هل من ماء» فتوضأ ومسح على خفيه، ثم لحق بالجيش فأمّهم[1].

* يرى أنس جواز المسح على الجوربين كما هو الحال في الخفين[2] لكن يُشترط أن يكون الجوربان ثخينين يمنعان نفوذ الماء، كما كانت جواربهم، أما جواربنا فلا يجوز المسح عليها لرقتها وعدم منعها نفوذ الماء.

---

(١) ابن ماجه بسند منقطع.

(٢) انظر المصنف ١/٢٠٠.

* يكره الصلاة إلى القبور ويأخذ بيد تلميذه ثابت إذا أراد أن يصلي فينحيه عنها[1] وقد نبهه إلى هذا عمر بن الخطاب، ففي البخاري أن عمر رأى أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال: القبر القبر، ولم يأمره بالإعادة.

* يرى مشروعية الأذان والإقامة في مسجد قد صُلِّيَ فيه، ففي المصنف عن أبي عثمان ـ الحسن بن دينار ـ قال: رأيت أنساً وقد دخل مسجداً قد صُلِّي فيه فأذن وأقام[2] وذكره البخاري بزيادة: وصلى جماعة.

* يستحب أنس تعجيل صلاة العصر والمغرب، قال العلاء بن الحضرمي: دخلنا على أنس بن مالك بعد الظهر فقام يصلي العصر، فلما فرغ من صلاته ذكرنا تعجيل الصلاة، أو ذكرها، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافقين، يجلس أحدهم حتى إذا اصفرت الشمس وكانت بين قرني الشيطان، قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلّا قليلاً»[3] وفي سنن أبي داود عن أنس قال: كنا نصلي المغرب مع رسول الله ﷺ ثم نرمي فيرى أحدنا موضع نبله.

---

(١) المصنف ١/٤٠٥.

(٢) المصنف ١/٥١٣.

(٣) مسلم ومالك والنسائي وأبو داود واللفظ له.

* ولا يرى دخول وقت العشاء حتى يغيب الشفق تماماً ويصبح الأفق مظلماً، فقد كان أنس إذا أراد أن يصلي العشاء قال لغلام له: انظر هل استوى الأفقان[1].

* يكره أنس التطوع بعد العصر، ويقول: كان عمر يضرب بالأيدي على صلاة بعد العصر[2].

* يرى أنس مشروعية التنفل قبل صلاة المغرب، ويقول: لقد رأيت كبار أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب حتى يخرج النبي ﷺ[3].

* يكره أنس أن يصطف المصلون بجماعة بين سواري المسجد، لأن الصفوف تتخلخل بها، ويقول: كنا نتقي هذا على عهد رسول الله ﷺ[4].

* ويرى عدم الجهر بقراءة البسملة قبل الفاتحة في الصلاة، ويقول: كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يفتتحون (الحمد لله رب العالمين)[5].

* ويرى أنس جواز التطوع في الصلاة على الدابة إلى أي

---

(١) المصنف ١/٥٥٩.
(٢) صحيح مسلم.
(٣) متفق عليه.
(٤) البخاري والترمذي والنسائي.
(٥) متفق عليه.

جهة، ويقول: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأراد أن يتطوع استقبل بناقته القبلة، فكبّر ثم صلى حيث وجهة ركابه[1].

* ويرى جواز الجمع بين الصلاتين للمسافر، ويقول: كان ﷺ يجمع بين صلاة الظهر والعصر إذا كان على ظهر سير، ويجمع بين المغرب والعشاء[2].

وحمل بعضهم حديث أنس هذا على الجمع الصوري. واحتجوا بما روى البزار في مسنده عن أنس أنه كان إذا أراد أن يجمع بين الصلاتين في السفر أخر الظهر إلى آخر وقتها وصلاها وصلى العصر في أول وقتها، ويصلي المغرب في آخر وقتها ويصلي العشاء في أول وقتها، ويقول: هكذا كان رسول الله ﷺ يجمع بين الصلاتين في السفر.

* يكره أنس أن يطوِّل الإمام في القراءة، وقال لولده بعد أن صلى بهم صلاة الصبح وقرأ فيها سورة تبارك: طولت علينا[3] وأخرج أحمد عنه أنه قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ صلاة لو صلاها أحدكم اليوم لعبتموها عليه.

ووصف أنس صلاة النبي ﷺ فقال: كان من أخف الناس صلاة في تمام[4]. ومن المعلوم أنه ﷺ كان يختصر الصلاة

---

(١) أحمد وأبو داود.

(٢) متفق عليه.

(٣) انظر المصنف ٢/ ١٢٠.

(٤) متفق عليه.

إذا صلى مع أصحابه، ولكنه كان يطيل إذا صلى منفرداً.

* ويستحب أنس المبادرة إلى السنّة البعدية فور الانتهاء من الصلاة المفروضة التي يسن بعدها الصلاة، ويقول: صليت وراء النبي ﷺ وكان ساعة يسلِّم يقوم[1].

* وإذا نسي ركعة من صلاة الفرض، وتذكرها بعد أن شرع في السنة، فإنه يقطع السنّة ويبادر إلى إكمال الفريضة ويسجد سجدتي السهو[2].

* ويرى أن على المرأة أن تقف في صلاة الجماعة وراء صفوف الرجال بصف مستقل، قال ثابت البُناني: صليت مع أنس فأقامني عن يمينه، وقامت جميلة أم ولده خلفنا[3]. وفي الصحيحين أن أنساً صلى وراء النبي ﷺ مع يتيم وعجوز فقال: صففت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا.

* ويرى إباحة التربع في الصلاة، لما روي عن عمر الأنصاري أنه رأى أنساً يصلي متربعاً[4] ولعله فعله من وجع.

* ويجعل صلاته بالليل مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث، قال ثابت: بتّ عند أنس ليلة، فصلى مثنى مثنى، حتى إذا كان آخر

---

(١) المصنف ٢/٢٤٦.
(٢) المصنف ٢/٣١٧.
(٣) المصنف ٢/٤٠٨.
(٤) المصنف ٢/٤٦٧.

الليل أوتر بثلاث مثل المغرب[1].

* ويقصر الصلاة في السفر مهما امتد سفره إذا لم ينو الإقامة، فقد أقام أنس شهرين بالشام يصلي ركعتين ركعتين[2].

* ويصلي المفروضة على الدابة مومئاً بالركوع والسجود بسبب تعذر نزوله عنها لوجود المطر والطين[3].

* ويصلي في السفينة قاعداً قصراً[4] وهذا محمول على حال السفر وتعذر القيام في السفينة.

* ويرى مشروعية الاضطجاع عند ركعتي الفجر ويأمر به[5].

* ويأتم بالإمام في صلاة الجمعة وهو في بيت مشرف على المسجد وله باب إليه[6] وهذا محمول على حال امتلاء المسجد ووصول الصفوف إلى باب البيت.

---

(١) المصنف ٣/٢٠.
(٢) المصنف ٢/٥٣٦.
(٣) انظر المصنف ٢/٥٧٤. وانظر حاشيته.
(٤) المصنف ٢/٥٨٠.
(٥) المصنف ٣/٤٢.
(٦) المصنف ٣/٨٣.

* ويرى جواز القنوت قبل الركوع وبعده[1].

* ويشهد الجمعة في البصرة وهو يسكن على بعد ثلاثة أميال منها[2].

ولا يرى التنفل مكروهاً قبل صلاة العيد[3].

* ولا يرى أفضلية للمشي بجهة معينة بالنسبة للجنازة أثناء تشييعها، وقال للسائل: إنما أنت مشيع، فامش إن شئت أمامها، وإن شئت خلفها، وإن شئت عن يمينها، وإن شئت عن يسارها[4].

* ولا يصوم يوم الشك[5].

* يفطر إذا شرع في السفر وهو صائم، فقد روى الترمذي ـ وحسّنه ـ عن محمد بن كعب قال أتيت أنس بن مالك في رمضان وهو يريد سفراً، وقد رحلت له راحلته ولبس ثياب السفر، فدعا بطعام فأكل، فقلت: سنّة؟ قال: سنّة، ثم ركب. وبه أخذ الإمام أحمد، وخالفه الجمهور فقالوا: إذا سافر بعد الفجر في رمضان لا يجوز له إفطار هذا اليوم، وإذا أفطر عليه القضاء فقط.

---

(١) المصنف ٣/١١٠.

(٢) المصنف ٣/١٦٣.

(٣) المصنف ٣/٢٧٣.

(٤) المصنف ٣/٣٤٥.

(٥) المصنف ٤/١٥٩.

* يرى القران في الحج أفضل من الإفراد، ويروي أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لبيك بعمرة وحجة معاً»[1].

* يرى الصلاة في المسجد الحرام أفضل من الطواف، فقد سأله عمر بن عبد العزيز: الصلاة أفضل للغرباء أم الطواف؟ فقال: بل الصلاة[2].

* يرى الستر على الزاني أفضل من رفعه إلى الحاكم ليقيم عليه الحد، فقد قال لرجل أراد أن يرفع جارية له زنت، إلى الحاكم ليقيم عليها الحد: رد جاريتك واتق الله واستر عليها[3].؟

(١) مسلم وابن ماجه.
(٢) المصنف ٧/٧٠.
(٣) المصنف ٧/٣٩٨.

أشهر تلامذة أنس

يعتبر أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه شيخ السادة من علماء التابعين أمثال: الحسن البصري، وسليمان التيمي، وثابت البناني، والزهري، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وإبراهيم بن ميسرة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير، وقتادة، وغيرهم.

وكان ألصق تلاميذه به ثابت البناني ومحمد بن سيرين، ولذلك رأيت أن أعرّف القارىء بهما حتى تكتمل لديه الصورة عن أنس رضي الله عنه، فإن صورة كبار الشيوخ وعظماء المعلمين تنطبع في تلاميذهم حتى كأنهم نسخة لشيوخهم وأساتذتهم.

غلب الزهد والورع على تلاميذ أنس حتى اشتهرت البصرة بكثرة العباد والزهاد كما اشتهرت الكوفة بكثرة الفقهاء، وقالوا في ذلك: عباد البصرة وفقهاء الكوفة. وكان أنس شديد المحبة لتلاميذه، يدنيهم ويكرمهم ويثني عليهم، قال مالك بن دينار: أتينا أنس بن مالك أنا وثابت البناني ويزيد

الرقاشي وزياد النميري وأشباهنا، فنظر إلينا فقال: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ، ثم قال: والله لأنتم أحب إليّ من عدة ولدي إلّا أن يكونوا في الفضل مثلكم، وإني لأدعو لكم بالأسحار.

ثابت البُناني

وهو أكثر تلاميذ أنس ملازمة له، واسمه الكامل: ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري، كان يقول: صحبت أنساً أربعين سنة[1] قال عنه الذهبي: الإمام الحجة القدوة أبو محمد البناني البصري[2].

عبادته:

غلبت عليه صفة التعبد حتى قالوا عنه: أعبد أهل زمانه، روى غالب القطان عن بكر بن عبد الله قال: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه، ومن أراد أن ينظر إلى أحفظ أهل زمانه فلينظر إلى قتادة[3]. قال شعبة: كان ثابت يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ويصوم الدهر، وقال بكر المزني: ما أدركنا أعبد منه. وقال

---

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) تذكرة الحفاظ.

(٣) المرجع نفسه.

ابن حبان في الثقات: كان من أعبد أهل البصرة[1].

توثيق العلماء له:

وقد وثقه العلماء حتى اعتبره الذهبي حجة وقدوة كما مرّ معنا، وقال عنه الإمام أحمد: ثابت يثبت في الحديث، وقال العجلي: ثقة رجل صالح، وقال النسائي: ثقة، وقال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري، ثم ثابت، ثم قتادة[2].

روايته للسنة:

قال ابن المديني: له نحو مائتين وخمسين حديثاً[3]. روى عن أنس، وابن عمر، وابن الزبير، وعبد الله بن مغفّل، وعمر بن أبي سلمة، وشعيب والد عمرو وابنه عمرو، وعبد الله بن رباح وغيرهم، وروى عنه شعبة، وجرير بن حازم، والحمَّادان[4]، ومعمر، وهمام، وأبو عوانة، والأعمش، وكثير غيرهم[5].

---

(١) تهذيب التهذيب.
(٢) تهذيب التهذيب.
(٣) تذكرة الحفاظ.
(٤) وهما: حماد بن سلمة، وحماد بن زيد، صرح بهما في تذكرة الحفاظ.
(٥) تهذيب الهذيب.

بعض صفاته:

كان رحمه الله تعالى، رغم كثرة عبادته، يحافظ على حسن مظهره، فليس من ضرورة الزهد والتعبد إهمال المظهر، قال سليمان بن المغيرة: رأيت ثابتاً يلبس الثياب الثمينة والطيالس والعمائم[1]، وكان كثير الخشوع والخضوع، كثير البكاء غزير الدموع، قال حماد بن زيد: رأيت ثابتاً يبكي حتى تختلف أضلاعه. وقال جعفر بن سليمان: بكى ثابت حتى كادت عينه تذهب، فكُلّم في ذلك فقال: ما خيراهما إن لم تبكيا، وأبى أن يُعالج[2].

وكان رحمه الله شديد المحبة للنبي ﷺ كثير الاحترام لأستاذه رضي الله تعالى عنه، روي في مجمع الزوائد عن ثابت قال: كنت إذا أتيت أنساً يُخبر بمكاني فأدخل عليه، فآخذ بيديه فأقبلهما، وأقول: بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ، وأقبل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ.

وبلغ من مكانته عند شيخه أنس أنه إذا علم بقدومه طيَّب يديه إكراماً له لأنه يصر على تقبيلهما، فعن جميلة ـ أم ولد أنس ـ قالت: كان ثابت إذا أتى أنساً قال: يا جارية هات لي

---

(١) تذكرة الحفاظ.
(٢) تذكرة الحفاظ.

طيباً أمسح يدي. فإن ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبل يدي. كذا في مجمع الزوائد عن أبي يعلى.

وقد مر معنا كيف كان رحمه الله يبكي حتى تختلف أضلاعه عندما يسمع حديث وفاة النبي ﷺ من شيخه أنس رضي الله عنه[1].

ولصدق محبته للنبي ﷺ كان أنس رضي الله عنه يؤثره على بقية تلاميذه ويقربه منه، حتى إن تلاميذ أنس إذا رغبوا بالدخول على أنس يتشفعون بثابت ليستأذن لهم، قال معبد بن هلال العنزي: انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره، فقال له: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة[2].

توفي رحمه الله سنة ثلاث وعشرين ومائة ويقال سنة سبع وعشرين ومائة وقد جاوز الثمانين[3].

---

(١) انظره في فصل (المحب العظيم).
(٢) صحيح مسلم. وانظر حديث الشفاعة في كتاب (مسند أنس) للمؤلف في صفات يوم القيامة.
(٣) تذكرة الحفاظ.

محمد بن سيرين

اسمه ونسبته:

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: محمد بن سيرين الإمام الرباني أبو بكر مولى أنس بن مالك، وأصل سيرين من جرجرايا[1]، قال أنس بن سيرين: ولد أخي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وولدت بعده بسنة.

وأمه ـ كما قال الذهبي ـ صفية مولاة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذكر بعضهم أن أمه سيرين ـ كما هو المشهور من اسمه ـ وهي مولاة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها.

مكانته العلمية:

يعتبر محمد بن سيرين من كبار علماء التابعين، وقد التقى

---

(١) بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، خربت مع ما خرب من النهروانات. انظر مراصد الاطلاع.

بعدد كبير من الصحابة، وروى عن مولاه أنس بن مالك، وزيد بن ثابت، والحسن بن علي بن أبي طالب، وجندب بن عبد الله البجلي، وابن عمر، وابن عباس، وعثمان بن أبي العاص، وعمران بن الحصين، وكعب بن عجرة، ومعاوية، وأبي الدرداء، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وعائشة أم المؤمنين، وأم عطية رضي الله عنهم.

وروى أيضاً عن بعض علماء التابعين منهم عبيدة السلماني، وقيس بن عباد، وعمرو بن وهب، ومسلم بن يسار، ويونس بن جبير وغيرهم.

كما روى عنه عدد كبير من العلماء منهم الشعبي وابن عون، وقتادة، وسليمان التيمي، والأوزاعي، ومالك بن دينار وغيرهم[1]

وقد أجمع العلماء على توثيقه، حتى كان هشام بن حسان يقول: حدثني أصدق من أدركته من البشر محمد بن سيرين، وقال العجلي فيه: بصري تابعي ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً[2].

وقد ساهم في تنقيط المصحف، فقيل: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي، وإن ابن سيرين كان له

---

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) تهذيب التهذيب.

مصحف منقوط، ثم نقطه يحيى بن يعمر، ويمكن التوفيق بين هذه الأقوال بأن أبا الأسود أول من نقط المصحف، ولكن بصفة فردية، ثم اتبعه ابن سيرين، وأن عبد الملك أول من نقط المصحف ـ أي أمر بتنقيطه ـ ولكن بصفة رسمية عامة ذاعت وشاعت بين الناس[1].

من مآثره وصفاته:

وصفه الذهبي فقال: كان فقيهاً إماماً غزير العلم ثقة ثَبتاً علامة في التعبير، رأساً في الورع[2].

والورع صفة ظاهرة في نعوت العلماء له، قال مُوَرِّق العِجْلي: ما رأيتُ أحداً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من ابن سيرين. وقال ابن عون: لم ترَ عيناي مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيَوَة. وقال أبو عوانة: رأيت ابن سيرين فما رآه أحدٌ إلّا ذكر الله تعالى[3].

وقد أوصى أنس بن مالك رضي الله عنه أن يغسله محمد ابن سيرين، فلما توفي بحثوا عنه فوجدوه محبوساً بسبب دين عليه لم يستطع أداءه، وأخبروه بوصية أنس، فقال: أنا محبوس. قالوا: قد استأذن لك الأمير فأذن، قال: إن الأمير

---

(١) مناهل العرفان للزرقاني.

(٢) تذكرة الحفاظ.

(٣) المرجع نفسه.

لم يحبسني وإنما حبسني صاحب الحق، فأذن له صاحب الحق فخرج فغسله، وعاد إلى سجنه دون أن يلقى أحداً من أهله[1].

وورعه سبب حبسه، قال ابن سعد في الطبقات: سألت محمد بن عبد الله الأنصاري عن السبب الذي حبس محمد لأجله. فقال: كان اشترى طعاماً بأربعين ألفاً، فأخبر عن أصله بشيء كرهه، فتصدق به، وبقي المال عليه، فحبس حبسته امرأة.

وإلى جانب هذا كان جريئاً في الحق، لا يصانع بدينه ولا يتاجر بعلمه، بعث ابن هبيرة ـ والي العراق ـ إلى ابن سيرين والحسن والشعبي، فدخلوا عليه، فسأل ابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا؟ قال: رأيت ظلماً فاشياً، فغمزه ابن أخيه بمنكبه، فالتفت إليه ابن سيرين قائلاً: إنك لست تسأل وإنما أنا المسؤول، فأرسل إليه ابن هبيرة بعد انصرافه بثلاثة آلاف درهم، فردها ولم يأخذها[2].

وكان في الليل بكّاء نائحاً يناجي الله بقلب واجف ويدعوه بفؤاد خاشع، يكره التشدق والتصنع في مظاهر العبادة، سئل مرة عمن يسمع القرآن فيصعق فقال: ميعاد ما بيننا وبينهم أن

---

(١) مجلة حضارة الإسلام العدد السابع السنة الثالثة.

(٢) حضارة الإسلام.

يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون[1].

ظرفه ولطفه:

ومن صفاته رحمه الله تعالى ظرف في نفسه ولطف في مجالسته، يباسط جلساءه ويكرم ضيوفه، وكما يغلب عليه في الليل البكاء والنوح يغلب عليه في النهار الابتسام والمرح، واشتهر في هذا حتى قال فيه ابن عبد ربه: كان محمد بن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه[2] وجمعت له سرعة بديهته وحدة ذكائه مع مرحه مجموعة كبيرة من الملح والطرائف منثورة في الكتب الأدبية.

منها أن رجلاً أقبل إليه فقال: ما تقول في رؤيا رأيتها؟ قال: وما رأيت؟ قال: كنت أرى أن لي غنماً فكنت أُعطىٰ بها ثمانية دراهم، فأبيت من البيع، ففتحت عينيَّ فلم أرَ شيئاً، فأغلقتهما ومددت يدي وقلت: هاتوا أربعة، فلم أعط شيئاً، فقال ابن سيرين: لعل القوم اطلعوا على عيب في الغنم، قال: يمكن الذي ذكرت[3].

---

(١) مجلة حضارة الإسلام.

(٢) العقد الفريد.

(٣) المرجع نفسه.

من كلماته المأثورة:

المسلم المسلم يظهر عند الدرهم والدينار.

انكح امرأة تنظر في يدك ولا تنكح امرأة تكون أنت تنظر في يدها.

وكان إذا أتاه آت يسأله عن منام رآه قال له: اتق الله في اليقظة ولا يضرك ما رأيت في المنام.

ومن نصائحه قوله لرجل سب الحجاج: مَهْ أيها الرجل، فإنك لو قد وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته أعظمَ عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله حكم عدل إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه فسوف يأخذ للحجاج أيضاً ممن ظلمه، فلا تشغلن نفسك بسب أحد[1].

وسئل مرة عن مسألة فأحسن الإجابة فيها، فقال له أحد الجالسين: والله يا أبا بكر لقد أحسنت الفتيا والقول، وعرَّض بكلامه إلى أن الصحابة لم يكونوا ليحسنوا أكثر من هذا، فقال محمد بن سيرين: لو أردنا أن نبلغ فقههم لما أدركته عقولنا[2].

وهو القائل رحمه الله تعالى: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم[3].

---

(١) حضارة الإسلام.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) صحيح مسلم.

وفاته رحمه الله تعالى:

توفي وعمره سبع وسبعون سنة، قال حمَّاد بن زيد: مات الحسن - أي البصري - أول يوم من رجب سنة عشر ومائة وصليت عليه، ومات محمد لتسع مضين من شوال منها[1].

(١) تهذيب التهذيب.

أنَس في خدمَةِ الخلافة الراشدة

اهتم أنس رضي الله عنه بخدمة السنّة رواية وتعليماً. وغلبت عليه الصفة العلمية، ومع ذلك فقد قام ببعض الأعمال الهامة في خدمة الخلافة الراشدة، وأسند إليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بعض المناصب الرفيعة في الدولة المسلمة. وخاصة في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأول المهمات التي كلف بها أنس حمله لكتاب الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى أهل اليمن عندما أراد الخليفة الأول أن يستنفرهم للخروج إلى الجهاد في بلاد الشام[1] ثم وجهه بعد ذلك إلى البحرين.

قال ابن كثير: وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك[2]، لكن الذهبي ذكر أن أبا بكر ولاه على جباية البحرين، وهو الأصح، ففي صحيح البخاري

---

(١) حياة الصحابة.

(٢) البداية والنهاية.

عن عبد الله بن أنس أن أنساً حدثه: أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين...[١].

وروي عن موسى بن أنس أن أبا بكر الصديق بعث إلى أنس ليوجهه على البحرين ساعياً، فدخل عليه عمر فقال: إني أردت أن أبعث هذا على البحرين وهو فتى شاب، قال: ابعثه فإنه لبيب كاتب، فبعثه، فلما قُبض أبو بكر قدم أنس على عمر فقال: هات ما جئت به، قال: يا أمير المؤمنين البيعة أولاً، فبسط يده.

وأخرج الذهبي أيضاً عن أنس قال: استعملني أبو بكر على الصدقة، فقدمت وقد مات، فقال عمر: يا أنس أجئتنا بظَهْر[٢]؟ قلت نعم، قال جئنا به والمال لك، قلت: هو أكثر من ذلك قال: وإن كان فهو لك. وكان أربعة آلاف[٣].

ولما تولى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ولاية البصرة

---

(١) انظر تتمة الرسالة في مسند أنس، فهي من أنفس الرسائل العلمية، ففيها مقادير الزكاة الواجبة في الإبل والبقر والغنم، وكيفية إخراجها.

(٢) دواب الركوب.

(٣) أعلام النبلاء.

في عهد عمر رضي الله عنه، قرَّب أنساً واعتبره من خاصته. يدل على ذلك ما رواه ثابت عن أنس قال: كنّا مع أبي موسى في مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً فتعال فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: يا أنس: ما ثَبَرَ الناسَ ـ ما بطأ بهم ـ؟ قلتُ: الدنيا والشيطان والشهوات. قال: لا، لكن عُجّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عَدَلوا ولا ميّلوا[1].

ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر، قال أنس: بعثني أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر فسألني عن أحوال الناس[2]. وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان[3].

ولما كانت البلاد المفتوحة حينئذٍ من بلاد فارس تابعة لولاية البصرة ووالي البصرة هو الذي يوجه إليها الولاة القضاة فقد استعمل أبو موسى الأشعري أنساً عليها، أشار إلى هذا صاحب العقد الفريد عندما قال: وكان محمد بن

---

(١) تفسير القرطبي. والمعنى: ما شكوا ولا ترددوا.

(٢) عيون الأخبار.

(٣) سير أعلام النبلاء.

سيرين مع علمه وورعه كاتباً لأنس بن مالك بفارس. كما أشار إلى هذا ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب عندما تحدث عن ابن سيرين.

وتولى أنس ولاية البصرة لفترة وجيزة، حدث ذلك لما بويع عبد الله بن الزبير بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، فكتب إلى أنس بن مالك بولاية البصرة، فصلى بالبصرة أربعين يوماً.

مِحنة أنس أيَّام الحجّاج

وولايته على البصرة لابن الزبير كانت من الأسباب التي عرضته لمحنته الكبرى على يد الحجاج بن يوسف الثقفي. ولا بدَّ لنا قبل الحديث عن محنة أنس أن نتحدث عن البصرة وإقامته فيها، جاء في كتاب «أخبار عمر»:

رأى عمر بنظره البعيد أن العرب إذا نزلوا في المدن الفارسية فقدوا مزايا الصحراء، وخلائق العروبة، وغلب عليهم الترف، وأضعفتهم الحضارة، وأحب أن يقيم للعرب مدناً جديدة، يعيشون فيها مثل عيشهم في الجزيرة، فتكون لهم كثكنات الجند، فأنشأ لهم الكوفة والبصرة، المدينتين اللتين أسدتا إلى اللغة وأدبها ما لم تُسد مثله مدينة قط، وكان لهما من الفضل في خدمة علوم العربية، وحفظ شعرها، وخطبها وتاريخها، ما لم يكن مثله لدمشق ولا لبغداد ولا للقاهرة[1]، ومن عجب أن الكوفة قد اندثرت ونسي مذهبها

---

(١) ولهما أيضاً فضل كبير في خدمة علوم الحديث، وليرجع من يريد تفصيل هذا الموضوع إلى كتاب (فقه أهل العراق وحديثهم) =

في النحو، وأن البصرة قد بقيت وبقي مذهبها، لا نعرف اليوم في النحو مذهباً غيره. والبصرةُ في اللغة، كل أرض حجارتها جص، ولما بعث إليها عمر قائده عتبة بن غزوان، فنزل بها، كانت بصرة حقيقية، ليس فيها شيء وكان في الأبلة (واسمها اليوم أبو الخصيب وهي متصلة بالبصرة) مرفأ كبير ترسو فيه السفن من عُمان والبحرين وفارس والهند والصين، وكانت عنده حامية فارسية، فانهزمت بعد معركة قصيرة، ونزل المسلمون على أنقاض المحلة التي كانت فيها الحامية، وتخربت بعد المعركة فسميت (الخريبة).

وكتب عتبة إلى عمر يعلمه نزوله إياها، وأنه لا بد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتَوا ويكنون (يستترون) فيه إذا انصرفوا من غزوهم. فكتب إليه: اجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريباً من الماء والمرعى واكتب إليَّ بصفته. فكتب إليه: إني وجدت أرضاً كثيرة القصب في طرف البر إلى الريف، ودونها مناقع الماء. فلما قرأ الكتاب قال: هذه أرض نضرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب، وكتب إليه أن أنزلها الناس.

فأنزلهم إياها، فبنوا مساكن القصب، فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ووضعوه حتى يرجعوا من الغزو،

= للعلامة المحقق الشيخ محمد زاهد كوثري رحمه الله، ففيه تحقيق علمي واسع في هذا الموضوع.

فإذا رجعوا أعادوا بناءه، فلم تزل الحال كذلك حتى أمر عمر أبا موسى الأشعري بالخروج إليها وأن يصرف الخطط لمن هناك من العرب، ويجعل كل قبيلة في محلة، وأن يأمر الناس بالبناء وأن يبني لهم مسجداً جامعاً[1].

وما دامت البصرة قد بنيت لتكون مركزاً حربياً وثكنة من ثكنات جيوش الفتح، فمن الطبيعي أن يدخلها أنس مع الفاتحين، وقد ساهم مساهمة كبيرة في معارك فتح العراق كما مرّ معنا، ثم اتخذها بعد ذلك مستقراً له إلى أن توفي. ولكنه رضي الله عنه لم يسكن المدينة نفسها إنما سكن في ضواحيها تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ له: «يا أنس إن الناس يمصرون أمصاراً وإن مصراً منها يقال له البصرة أو البصيرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتَها فإياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون يصبحونَ قردة وخنازير»[2]. وسكن رضي الله عنه لهذا السبب في الزاوية[3] على بعد فرسخين

---

(١) عن أخبار عمر. باختصار.

(٢) أخرجه أبو داود وسكت عنه. والسباخ: جمع سبخة أرض ذات نز وملح وموضع بالبصرة. انظر القاموس المحيط وفيه أيضاً: الكلاء: مرفأ السفن.

(٣) موضع على فرسخين من البصرة كان لأنس مقر وأرض فيه، وكان يقيم هناك كثيراً، وكانت فيه وقعة كبيرة بين الحجاج وابن الأشعث. كما في فتح الباري.

من البصرة، وقد أشار البخاري إلى هذا في صحيحه في باب (من أين تؤتى الجمعة): فقال: كان أنس رضي الله عنه في قصره أحياناً يجمّع[1]، وأحياناً لا يجمّعُ وهو بالزاوية على فرسخين. وفي باب (إذا فاته العيد يصلي ركعتين) روى البخاري أيضاً: وأمر أنس بن مالك مولاه ابن أبي غنية، فجمع أهله وبنيه وصلى كصلاة أهل المصر وتكبيرهم.

ولعل ابن الأثير أراد قصر أنس في الزاوية عندما تحدث عن مكان وفاته فقال: توفي في قصره بالطّفّ ودفن هناك على فرسخين من البصرة[2]. فإن كلمة الطف تطلق على ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، أو على أرض من ضاحية الكوفة في طرف البرية بها كان مقتل الحسين رضي الله عنه[3] والمعنى الأول هو المراد من كلام ابن الأثير لأن البصرة أقرب إلى أرض الجزيرة العربية من الكوفة. ويبدو أن أنساً رضي الله عنه لم يتحول عن ضواحي البصرة بعد أن استقر فيها حتى توفي إلّا عندما كان يسافر، وقد قدم دمشق ولكنه لم يأتها للسكنى إنما جاءها شاكياً الحجاج للخليفة وهو

---

(١) يجمع: أي يصلي بمن معه الجمعة، أو يشهد الجمعة بجامع البصرة، ويرجح الاحتمال الثاني ما رواه ابن أبي شيبة من وجه آخر عن أنس أنه كان يشهد الجمعة من الزاوية. انظر فتح الباري.

(٢) أسد الغابة.

(٣) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.

إذ ذاك الوليد بن عبد الملك[1].

أنس والأمراء:

عمل أنس بن مالك رضي الله عنه بوصية النبي ﷺ التي سبق ذكرها، فتجنب أبواب الأمراء، وانصرف إلى تلاميذه يعلمهم ويؤدبهم. ولم يسجل لنا التاريخ أخباراً له مع الولاة والحكام، إلّا ما ذكره صاحب العقد الفريد عن الحسن بن أبي الحسن فقال: ثقُل أبو بكرة[2] فأرسل زياد[3] إلى أنس بن مالك ليصالحه ويكلمه. فانطلقت معه، فإذا هو مولٍ وجهه إلى الجدار، فلما قعد قال له: كيف تجدك أبا بكرة؟ فقال: صالحاً؛ كيف أنت أبا حمزة؟ فقال أنس: الله الله أبا بكرة في زياد أخيك فإن الحياة يكون فيها ما يكون، فأما عند فراق الدنيا فليستغفر الله أحدُكما لصاحبه، فوالله ما علمت أنه لوصول للرحم، هذا عبد الرحمن ابنك على الأبلَّة، وهذا داود على مدينة الرزق، وهذا عبد الله على فارس كلها، والله ما أعلمه إلّا مجتهداً. قال: أقعدوني، فأقعدوه، فقال:

---

(١) فتح الباري. وقد مر معنا حديث انس مع الزهري في دمشق.

(٢) هو نفيع بن الحارث أبو بكرة الثقفي، قيل له أبو بكرة لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي ﷺ، قال العجلي: كان من خيار الصحابة، انظر تهذيب التهذيب.

(٣) هو زياد ابن أبيه أخو أبي بكرة لأمه سمية. كذا في التهذيب.

أخبرني ما قلت في آخر كلامك، فأعاد عليه القول. فقال: يا أنس وأهل حروراء[1] قد اجتهدوا فأصابوا أم أخطأوا؟ والله لا أكلمه أبداً ولا يصلي عليَّ.

فلما رجع أنس إلى زياد أخبره بما قال له: وقال إنه قبيح أن يموت مثل أبي بكرة بالبصرة فلا تصلي عليه ولا تقوم على قبره، فاركب دوابك والحق بالكوفة. قال: ففعل، ومات أبو بكرة بالغد عند صلاة الظهر فصلى عليه أنس بن مالك. اهـ وهذا من أنس رضي الله عنه عمل مبرور مطلوب شرعاً، وهو سعيه لإصلاح ذات البين بين أخوين متخاصمين أحدهما، وهو أبو بكرة، من الصحابة، وثانيهما زياد ابن أبيه والي البصرة، وهو من ولاة العراق، ولاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلاد فارس، وولاه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه العراق.

كما لا يرد على هذا الذي قررناه من بُعد أنس عن الولاة ما رواه البخاري والترمذي - واللفظ له - عن أنس قال: كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين، فجعل يقول بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيتُ مثل هذا حُسناً لِمَ يُذكر؟[2] قال:

(١) حروراء: قرية قرب الكوفة ينسب إليها الخوارج.

(٢) وفي رواية للبخاري فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئاً، والمعنى أنه كان يتهكم به، وقوله (لم يذكر؟) معناه لماذا يذكر في الناس بالحسن. كذا في التحفة.

قلتُ: أما إنه من أشبههم برسول الله ﷺ.

لا يتعارض هذا مع ما قررناه. لأن قتل الحسين رضي الله عنه وإحضار رأسه من أعظم الأحداث وأشدها فداحة، فلا ينبغي لأنس أن يغيب عن هذا الحدث الجلل ولا بد له أن ينكر على ابن زياد جريمته المنكرة، ولهذا رد على تهكمه وسخريته من حسن وجه الحسين واشتهار حسنه في الناس قائلاً: إنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ.

ولما جعل ابن زياد ينكث بالقضيب ثناياه، قال أنس: والله لأسوءنك، إني رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث يقع قضيبك قال: فانقبض[1].

فما كان رضي الله عنه يدخل على الأمراء إلّا لأمر ديني ففي مسند أحمد عن علي بن زيد قال: بلغ مصعب بن الزبير عن عريف الأنصار شيء فهمَّ به، فدخل عليه أنس بن مالك فقال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «استوصوا بالأنصار خيراً ـ أو قال معروفاً ـ اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» فألقى مصعب نفسه عن سريره وألزق خده بالبساط وقال: أمر رسول الله ﷺ على الرأس والعين. فتركه.

أنس والحجاج:

ولما قدم الحجاج إلى العراق أخضعه لبني أمية بعد أن

(١) البزار والطبراني بأسانيد ورجاله وثقوا.

سفك فيه دماء كثيرة، وحكمه بالقهر والعنف والشدة، وكان الولاة في ذلك الزمان يتولون الشؤون الدينية والدنيوية في الأمة، فهم أئمة الناس في الجمع والجماعات، ويخطبونهم خطب الجمع والأعياد. ولا بد لأنس رضي الله عنه من شهود الجمع والأعياد فكان ذلك سبباً لاحتكاك أنس بالحجاج.

أنكر رضي الله عنه تأخير الحجاج الصلاة عن وقتها، وترك مرة الصلاة معه لهذا السبب، قال ثابت البناني: كنا مع أنس بن مالك فأخر الحجاج الصلاة فقام أنس يريد أن يكلمه فنهاه إخوانه شفقة عليه منه، فخرج فركب دابته فقال في مسيره ذلك: (والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ إلاّ شهادة ألا إله إلاّ الله) فقال رجل: فالصلاة يا أبا حمزة، قال: الظهر عند المغرب! أفتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ[1].

ومع ذلك كان رضي الله عنه ينصح تلاميذه بالصبر إذا شكوا إليه ظلم الحجاج، ففي سنن الترمذي عن الزبير بن عدي قال: دخلنا على أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال: «ما من عام إلاّ والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. سمعت هذا من نبيكم ﷺ». وفي صحيح البخاري: فقال: «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلاّ والذي بعده شر منه»[2].

---

(١) فتح الباري.

(٢) قال الحافظ في الفتح: قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النبوة، =

وانفجرت الثورة في العراق على الحجاج، وانضم إليها

= لإخباره ﷺ بفساد الأحوال وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي وإنما يعلم بالوحي. اهـ وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فلما سئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج قال: لا بد للناس من تنفيس.

وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل تفضيل على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لقوله ﷺ: «خير القرون قرني» وهو في الصحيحين.

قال الحافظ: ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتباع، فأخرج ابن أبي شيبة عن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلاّ وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء في العيش يصيبه ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلاّ وهو أقل علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون. ومن طريق الشعبي عن مسروق قال: لا يأتي عليكم زمان إلاّ هو شر مما كان قبله، وأما إني لا أعني أميراً خيراً من أمير ولا عاماً خير من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفاء، ويجيء قوم يفتون برأيهم.

انظر تحفة الأحوذي.

علماء العراق بسبب ظلم الحجاج وعسفه، فخرج عليه من القراء ـ أي العلماء ـ أربعة آلاف رجل، هم خيار التابعين وفقهاؤهم فقاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[1].

وكانت ثورة القراء هذه بزعامة ابن الأشعث، أكبر خطر هدد الحجاج، فقد زعزعت أركان الخلافة الأموية في دمشق، حتى أرسل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يساوم قائدها على إنهائها مقابل عزل الحجاج عن العراق[2].

ومن الطبيعي أن يكون لأنس يد في هذه الثورة، لأنه لم يكن راضياً عن الحجاج وتصرفاته في العراق، ولم ينس أنس أن الحجاج هو الذي قتل عبد الله بن الزبير بعد أن حاصره في مكة، وكان أنس موالياً له، وقد مر معنا أنه كان والياً لعبد الله بن الزبير على البصرة لبعض الوقت.

ووقعت أعظم معارك هذه الثورة حول البصرة، بل قريباً من بيت أنس رضي الله عنه، ولكني أستبعد أن يكون أنس قد شارك مشاركة فعلية في القتال، لأنه كان في ذلك الوقت قد جاوز التسعين من عمره، ولعل مشاركته كانت في تحريض الناس على الثورة وحضهم على الانضمام إلى ثوراها، مما جعل الحجاج ينقم عليه فيمن نقم عليهم، وذكر

---

(١) فقه أهل العراق وحديثهم.

(٢) البداية والنهاية.

المؤرخون أخباراً متعددة لأشكال الانتقام الذي أنزله الحجاج في أنس رضي الله عنه بعد أن تمكن بواسطة الجيوش الكبيرة التي أرسلت إليه من بلاد الشام، من القضاء على ثـورة ابن الأشعث.

ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن عبد الله بن سالم الأشعري روى عن أزهر بن عبد الله قال: كنت في الخيل الذين بيّتُوا أنس بن مالك ـ وكان ممن يؤلب على الحجاج وكان مع ابن الأشعث ـ فأتوا به إلى الحجاج فوسم يده (عتيق الحجاج). ونقل في مكان آخر عن علي بن زيد قوله: كنت بالقصر والحجاج يعرض الناس ليالي ابن الأشعث فجاء أنس. فقال الحجاجُ: يا خبيث، جوّال في الفتن، مرة مع علي، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، أما والذي نفسي بيده لأستأصلنّك كما تستأصل الصمّغة[1]. ولأجردنّك كما يجرد الضب.

قال: يقول أنسُ: من يعني الأمير؟ قال: إياك أعني أصمّ الله سمعك، قال: فاسترجع أنس، وشُغل الحجاج. فخرج أنس، فتبعناه إلى الرحبة، فقال: لولا أني ذكـرت ولدي، وخشيت عليهم بعدي لكلمته بكلام لا يستحييني بعده أبداً.

ولا نستغرب أن يوجه الحجاج مثل هذا الكلام إلى سيدنا

---

(١) والصمغ إذا قلع انقلع كله من الشجرة ولم يبق له أثر. النهاية.

أنس رضي الله عنه، ولا نستبعد أن يحاول الحجاج إذلال أنس رضي الله عن فيسمه في يده (عتيق الحجاج) لما اشتهر عنه ما اشتهر من الطغيان والظلم.

وقد أيد ابن الأثير في أسد الغابة خبر الوسم، ولكنه ذكر أن الوسم كان في عنق سيدنا أنس رضي الله عنه، فقال: وروى ابن أبي ذئب عن إسحاق بن يزيد قال: رأيت أنس ابن مالك مختوماً في عنقه، ختمه الحجاج، أراد أن يذله بذلك.

وفي ترجمة سهل بن سعد رضي الله عنه قال: عاش سهل وطال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف وامتحن معه، أرسل الحجاج سنة أربع وسبعين إلى سهل بن سعد رضي الله عنه وقال له: ما منعك من نصر أمير المؤمنين عثمان؟ قال: قد فعلت، قال: كذبت ثم أمر به فختم في عنقه، وختم أيضاً في عنق أنس بن مالك رضي الله عنه حتى ورد كتاب عبد الملك بن مروان فيه، وختم في يد جابر بن عبد الله يريد إذلالهم بذلك وأن يجتنبهم الناس ولا يسمعوا منهم[1].

وروى الحاكم في المستدرك أن الحجاج فعل بأنس رضي الله عنه أكثر من هذا الذي تقدم، فقد أمر أن يطاف بأنس بعد ختمه بين جند الشام تشهيراً به رضي الله عنه، فقال: لما دخل أنس بن مالك رضي الله عنه على الحجاج أمر

---

(١) أسد الغابة.

بوجىء[1] عنقه ثم قال: يا أهل الشام أتعرفون هذا؟ هذا خادم رسول الله ﷺ! ثم قال: أتدرون لمَ وجأت عنقه؟ قالوا: الأمير أعلم، قال: إنه كان بيّن البلاءِ في الفتنة الأولى وغاشٌّ الصدر في الفتنة الآخرة. قال جرير: فحدثني محمد بن المغيرة قال: كان الحجاج يطوف به في العساكر فكتب أنس إلى عبد الملك: أرأيتم لو أتاكم خادم موسى أكنتم تؤذونه؟! فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن دعه فليسكن حيثما شاء من الأرض ولا تعرض له، وكتب إلى أنس أنه ليس لأحد عليك سلطان دوني[2].

وفي العقد الفريد النصوص الكاملة للرسائل المتبادلة بين أنس وعبد الملك، ورسالة عبد الملك إلى الحجاج، وفيها لوم شديد للحجاج وأمر له أن يعتذر من أنس ويترضاه، وقد فعل الحجاج ذلك.

ويبدو أن الحجاج عاد مرة ثانية لإيذاء أنس والتعرض له بعد وفاة عبد الملك بن مروان، مما اضطر أنس بن مالك أن يسافر إلى دمشق ليشكو الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك، وقد مر معنا خبر سفره إلى دمشق في بحث سابق.

---

(١) وجأه باليد والسكين: ضربه. قاموس.

(٢) المستدرك للحاكم.

كرامَاته رضي الله عنه ووفاته

أكرم الله سيدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه بكرامات كثيرة ببركة خدمته للنبي ﷺ، وصحبته له. وتمسكه بسنته وتعليمها للناس. وإن استقامته على السنة الشريفة طيلة عمره المديد وتمسكه بها وحرصه عليها أعظم الكرامات التي أكرمه الله تعالى بها إلى جانب ذلك إكرام الله له باستجابة دعائه. فكما استجاب الله سبحانه دعاء النبي ﷺ، أكرمه الله باستجابة دعائه. روى تلميذه ثابت البناني أن قيِّمَ أرضِ أنس جاء فقال: عطشَت أرضوك. فتردّى[1] أنس ثم خرج إلى البرية، ثم صلى ودعا، فثارت سحابة وغشيت أرضه ومطرت حتى ملأت صهريجه، وذلك في الصيف. فأرسل بعض أهله فقال: انظر أين بلغت؟ فإذا هي لم تعدُ أرضه إلّا يسيراً. قال الذهبي بعد روايته لهذه الحادثة: قلت: هذه كرامة بينة ثابتة لأنس بإسنادين[2].

---

(١) أي لبس رداءه.

(٢) سير أعلام النبلاء.

وقد بارك الله تعالى لأنس في أرضه وأشجاره، حتى إن أشجاره لتثمر في السنة مرتين، وقال الترمذي في سننه: حدثني محمد بن غيلان أخبرنا أبو داود عن أبي خلدة قال: قلتُ لأبي العالية: سمع أنس من النبي ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ، وكان له بستان يحمل في السنّة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان يوجد منه ريح المسك.

وكان رضي الله تعالى عنه يتحدث بنعمة الله عليه وما خصه بجزيل فضله. شكراً له سبحانه على ما أولاه وأعطاه، ففي الحلية من طريق حفصة بنت سيرين عن أنس قال: وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين، وما في البلد شيء يثمر مرتين غيرها[1].

وأما وفاته رضي الله عنه، فقد اتفق العلماء على أنها كانت بعد التسعين من الهجرة، واختلفوا في تحديد العام الذي توفي فيه، فبعضهم ذهب إلى أن وفاته سنة إحدى وتسعين. وذهب آخرون إلى سنة اثنتين وتسعين، والأكثرون قالوا سنة ثلاث وتسعين. وهو الأصح[2].

وروى الحاكم في المستدرك أنه توفي سنة ثلاث وتسعين، فيكون عمره على هذا مائة وثلاث سنين، لأنه ثبت أن مولده

---

(١) تحفة الأحوذي.

(٢) سير أعلام النبلاء.

قبل الهجرة بعشر سنين[١]. وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، وذكر ابن كثير أن موسى السنبلاوي سأل أنساً في أخريات عمره، قال: أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ؛ قال: قد بقي قوم من الأعراب فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي[٢].

ووصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء بأنه آخر الصحابة وفاة، ولعله اعتمد على ما روي عن معتمر عن أبيه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: لم يبق أحد صلى إلى القبلتين غيري[٣]. وليس قول أنس هذا دليلاً على أنه آخر الصحابة وفاة على الإطلاق. بل فيه أنه آخر الصحابة وفاة ممن أسلم قبل تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرقة، ومن المعلوم أن التحويل حصل بعد هجرة النبي ﷺ بعام وبضعة أشهر، ودخل في الإسلام بعد ذلك عدد كبير من الصحابة. والمشهور عند العلماء أن آخر الصحابة موتاً على الإطلاق أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي، مات سنة مائة من الهجرة[٤]. وذهب ابن عبد البر إلى أن أنس بن مالك آخر الصحابة موتاً قبل أبي الطفيل، فقد قال: لا أعلم أحداً مات

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) البداية والنهاية.

(٣) سير أعلام النبلاء.

(٤) قاله مسلم في صحيحه ورواه الحاكم في المستدرك انظر تدريب الراوي.

بعده ممن رأى رسول الله ﷺ إلّا أبا الطفيل[1] لكن العراقي لا يسلم برأي ابن عبد البر فيقول: بل مات بعده محمود بن الربيع بلا خلاف في سنة تسع وتسعين[2].

ولا يهمنا هذا كثيراً إنما الذي يهمنا ويعنينا أن نعرف أن أنساً رضي الله عنه عاش ما يزيد على مائة سنة قضاها خادماً للنبي ﷺ ولسنته من بعده، ومجاهداً في سبيل تثبيت دعائم الإسلام ونشره بين الأنام.

مات رضي الله عنه بقصره بالطف، ودفن هناك على بعد فرسخين من البصرة، وصلى عليه قَطَن بن مدرك الكلابي[3] وكان عنده عُصيَّة لرسول الله ﷺ قد أمر أن تدفن معه، فدفنت معه بين جنبه وقميصه[4].

ولما مرض رضي الله عنه مرض الوفاة قيل له: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وجعل يقول: لقِّنوني لا إله إلّا الله، وهو محتضر، فلم يزل يقولها حتى قبض[5].

رحمك الله ورضي عنك يا خادم الإسلام وجزاك الله عن سنة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام خير ما جزى أصحابه

---

(١) تدريب الراوي للسيوطي.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) أسد الغابة.
(٤) المرجع نفسه.
(٥) البداية والنهاية.

الكرام، فقد أكرمك الله في الحياة بخدمته عليه الصلاة والسلام وخدمة سنته، وشرّفك بشرف الجهاد تحت لوائه، وأكرمك في الوفاة ولسانك يردد: لا إله إلاّ الله.

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة».

وفي مجمع الزوائد أن محمد بن سيرين غسله، وقال في ذلك: غسلت أنس بن مالك، فلما بلغت عورته، قلت لبنيه: أنتم أحق بغسل عورته، دونكم فاغسلوها، فجعل الذي يغسلها على يده خرقة، وعليها ثوب، ثم غسل العورة من تحت الثوب[1]، وجعلوا في حنوطه سُكّة[2] فيها من عرق النبي ﷺ. ومر معنا أن أم سليم كانت تجمعه وتحتفظ به.

ومن أدعيته التي كان يدعو بها رضي الله عنه:

اللهم اجعل علينا صلاة قوم أبرار، ليسوا بأثمة ولا فجار، يقومون الليل ويصومون النهار[3].

كما كان رضي الله عنه يقول: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة[4].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٢) السك: نوع من الطيب.

(٣) مجمع الزوائد، ورجاله رجال الصحيح غير واحد مختلف فيه.

(٤) تفسير ابن كثير.

حليتهُ وأشهر أولاده

حليته:

كان أنس رضي الله عنه لبيباً عاقلاً، يحسن القراءة والكتابة، وكان كريماً شجاعاً رامياً، وكان شديد الحب للرسول ﷺ ولأصحابه الخلفاء الأربعة، يقول أنس:

ما فرحنا بشيء فرحُنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم لحبي إياهم، وكان يقول: يقولون: لا يجتمع حب علي وعثمان في قلب وقد جمع الله حبهما في قلوبنا.

وكان شديد التأسي برسول الله ﷺ، يسلِّم ثلاثاً، ويحدّث ثلاثاً، ويصلي كما يصلي، وقد مرَّ معنا قول أبي هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله من ابن أم سُلَيم ـ يعني أنساً ـ وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

وكان قليل الكلام يكره فضوله، وفي ذلك يقول حفص ابن أبي الصهباء: سمعت أبا غالب يقول: لم أرَ أحداً كان

أضنَّ بكلام من أنس بن مالك. وكان أنس يقول: لا يتقي الله عبد حتى يخزن من لسانه[1].

وكان رضي الله عنه يشد أسنانه بالذهب، ويلبس الخز ويتعمم به، ويتخلق بالخلوق[2].

أشهر أولاده:

كما أكثر الله سبحانه مال أنس ببركة دعوة النبي ﷺ أكثر كذلك أولاده وأحفاده ببركة الدعوة النبوية الكريمة التي حظي بها أنس رضي الله عنه. وقد مر معنا قول أنس: فوالله إن مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة اليوم[3].

ومن الطبيعي أن يكون في أولاده من يهتم برواية السنّة ففي كتب الحديث مر بنا عدد من أسماء أولاد أنس، ولكنهم لم يشتهروا اشتهار تلاميذه ولعل أشهرهم أبو بكر بن أنس الذي روى عن أبيه، وزيد بن أرقم، ومحمود بن الربيع وغيرهم، وروى عنه ابنه عبد الله وثابت البناني، وقتادة، وسليمان التيمي، وعلي بن زيد بن جدعان، ويونس بن

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد.

(٢) الخلوق: نوع من الطيب.

(٣) انظر فصل (أنس في ظلال النبي ﷺ).

عبيد. قال العجلي: بصري تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات[1].

ويذكر المحدثون من أولاده عبيد الله بن أنس الأنصاري البصري روى عن أنس حديث (من عال جاريتين. . .) وروى عنه ابنه أبو بكر[2].

ولقد اشتهر بين المحدثين من أحفاده أكثر مما اشتهر من أولاده، وأكثرهم شهرة ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري، قاضي البصرة، روى عن جده أنس والبراء بن عازب وأبي هريرة ولم يدركه، وروى عنه ابن أخيه عبد الله بن المثنى وحميد الطويل وعزرة بن ثابت وعبد الله بن عون وغيرهم، قال عنه أحمد والنسائي: ثقة، وقال ابن عدي: له أحاديث عن أنس وأرجو أنه لا بأس به[3]. ولكن العلماء لم يقروا ابن عدي على تعريضه به، قال العجلي: تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات[4]. قال عمر بن شبَّة: سمعت بعض علمائنا يذكر أن ثمامة لما دعي إلى ولاية القضاء شاور محمد بن سيرين، فأشار عليه أن لا تقبل،

---

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) تهذيب التهذيب.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) المرجع نفسه.

فقال: لا أترك، فقال: أخبرهم أنك لا تحسن القضاء، قال: فاكذب؟! فجعل ابن سيرين يعجب منه. وقال ثمامة: وقعتُ على باب من القضاء جسيم، أدفعُ الخصوم حتى يصطلحوا فكتب بذلك بلال إلى خالد[1] فعزله عن القضاء في سنة عشر ومائة، وكان ولاه في سنة ست ومائة[2].

ويذكر المحدثون من أحفاده حفص بن عبيد الله بن أنس ابن مالك، روى عن جده وجابر وابن عمر وأبي هريرة، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ويحيى بن أبي كثير وابن إسحاق وموسى بن ربيعة وغيرهم، قال أبو حاتم: لا يثبت له السماع إلاّ من جده، وذكره ابن حبان في الثقات[3].

ومن أولاده كذلك النضر بن أنس، روى عن أبيه وابن عباس وزيد بن أرقم وغيرهم وروى عنه قتادة وحميد الطويل وعلي بن زيد... وغيرهم. قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات، ومات قبل الحسن وخرج الحسن في جنازته، وصلى موسى بن أنس يومئذٍ عليه، قال العجلي: بصري تابعي ثقة[4].

---

(١) لعله خالد القسرى والي العراق لبني أمية في ذلك الوقت.
(٢) تهذيب التهذيب.
(٣) تهذيب التهذيب.
(٤) تهذيب التهذيب.

خاتمة

وإلى هنا ينتهي بنا الحديث عن الخادم الأمين والمحب العظيم ـ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه، وما كتبناه عنه إن هو إلّا سيرة موجزة لهذا الإمام الجليل والصحابي النبيل، وأنّى لمثل هذه الصحائف أن تلم بسيرة رجل صحب سيد البشر صلوات الله عليه عشر سنين صحبة تامة، وأخذ عنه العلم الجم والسيرة الحميدة، ثم عاش بعده ما يزيد على ثمانين سنة حافلة بجلائل الأعمال وزكي الخصال؟!

ودونكم يا شباب الإسلام في هذا الزمان سيرة شاب صُنع على عين المصطفى ﷺ، وتربى على يديه، وأحبه حباً لا حدود له، وعاش في رحاب هذا الحب الطاهر عمره المديد، فخذوا من هذه السيرة أعظم دروس الإيمان متمثلة في حب صاحب الرسالة والذود عن سنته، والجهاد في سبيل دينه.

وأرجو الله أن يعينني على إتمام مسند هذا الصحابي الجليل ونشره للناس، ليكمل انتفاعهم بسيرة أنس ولتزداد معرفتهم به رضي الله عنه، والحمد لله أولاً وآخراً.



المصادر العلمية للكتاب

كتب التفسير

١ ـ تفسير ابن كثير.
٢ ـ تفسير القرطبي.
٣ ـ تفسير البيضاوي.

كتب السنة

٤ ـ صحيح البخاري.
٥ ـ صحيح مسلم.
٦ ـ الموطأ للإمام مالك.
٧ ـ سنن النسائي.
٨ ـ سنن أبي داود.
٩ ـ سنن ابن ماجه.
١٠ ـ المسند للإمام أحمد.
١١ ـ المستدرك للحاكم.
١٢ ـ سنن البيهقي.
١٣ ـ الجامع الصغير للسيوطي.
١٤ ـ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للنبهاني.

١٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي.
١٦ ـ تيسير الوصول للشيباني.
١٧ ـ الترغيب والترهيب للمنذري.

كتب شرح السنة

١٨ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر.
١٩ ـ شرح صحيح مسلم للنووي.
٢٠ ـ هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري للطهطاوي.
٢١ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي.
٢٢ ـ شرح السيوطي لسنن النسائي.
٢٣ ـ حاشية السندي على النسائي.
٢٤ ـ تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي للمباركفوري.
٢٥ ـ تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي علىٰ سنن ابن ماجه.
٢٦ ـ تعليقات عزّت عبيد دعاس علىٰ سنن الترمذي.
٢٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.

كتب السير والتراجم والتاريخ.

٢٨ ـ السيرة الدحلانية لأحمد زيني دحلان.
٢٩ ـ سيرة ابن هشام.
٣٠ ـ حياة الصحابة للكاندهلوي.
٣١ ـ البداية والنهاية لابن كثير.
٣٢ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي.
٣٣ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي.
٣٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.

٣٥ ـ أخبار عمر لعلي الطنطاوي وأخيه.
٣٦ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم.
٣٧ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر.

كتب الفقه

٣٨ ـ فتح القدير للكمال بن الهمام.
٣٩ ـ رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين.

كتب متنوعة

٤٠ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي.
٤١ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.
٤٢ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة.
٤٣ ـ ردود على أباطيل لسيدي محمد الحامد.
٤٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ للقاضي عياض الأندلسي.
٤٥ ـ تدريب الراوي للسيوطي.
٤٦ ـ المدخل لابن الحاج المالكي.
٤٧ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن.
٤٨ ـ فقه أهل العراق وحديثهم للكوثري.
٤٩ ـ حضارة الإسلام ـ العدد السابع ـ السنة الثالثة.
٥٠ ـ إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس للمؤلف.
٥١ ـ نظرات في كتاب الحلال والحرام في الإسلام للمؤلف.
٥٢ ـ مسند أنس بن مالك للمؤلف ـ مخطوط.



فهرس

اقرأ للمؤلف

من موضوعات سور القرآن الكريم

سلسلة في الدراسات الموضوعية لبعض سور القرآن

وقد صدر منها:

١ ـ النبي وأزواجه في سورة الأحزاب.

٢ ـ المعجزة والإعجاز في سورة النمل.

تحت الطبع:

٣ ـ العواصم من الفتن في سورة الكهف.

أعلام المسلمين

سلسلة تراجم إسلامية تجمع بين العلم والفكر والتوجيه، وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها:

١ - عبد الله بن المبارك (الإمام القدوة).
تأليف محمد عثمان جمال.

٢ - الإمام الشافعي (فقيه السنة الأكبر).
تأليف عبد الغني الدقر.

٣ - مصعب بن عمير (الداعية المجاهد).
تأليف محمد حسن بريغش.

٤ - عبد الله بن رواحة (أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب).
تأليف د. جميل سلطان.

٥ - أبو حنيفة النعمان (إمام الأئمة الفقهاء).
تأليف وهبي غاوجي الألباني.

٦ - عبد الله بن عمر (الصحابي المؤتسي برسول الله).
تأليف محيي الدين مستو.

٧ - أنس بن مالك (الخادم الأمين والمحب العظيم).
تأليف عبد الحميد طهماز.
٨ - سعيد بن المسيب (سيد التابعين).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
٩ - السلطان محمد الفاتح (فاتح القسطنطينية وقاهر الروم).
تأليف د. عبد السلام فهمي.
١٠ - الإمام النووي (شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين).
تأليف عبد الغني الدقر.
١١ - الشيخ محمد الحامد (العلامة المجاهد).
تأليف عبد الحميد طهماز.
١٢ - السيدة عائشة (أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام).
تأليف عبد الحميد طهماز.
١٣ - الإمام البخاري (سيد الحفاظ والمحدثين).
تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.
١٤ - عبادة بن الصامت (صحابي كبير وفاتح مجاهد).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
١٥ - عبد الله بن عباس (حبر الأمة وترجمان القرآن).
تأليف د. مصطفى الخن.
١٦ - جابر بن عبد الله (صحابي إمام وحافظ فقيه).
تأليف وهبي غاوجي الألباني.
١٧ - أحمد بن حنبل (إمام أهل السنة والجماعة).
تأليف عبد الغني الدقر.

١٨ ـ كعب بن مالك (شاعر العقيدة الإسلامية).
تأليف د. سامي مكي العاني.
١٩ ـ أبو داود (الإمام الحافظ الفقيه).
تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.
٢٠ ـ أسامة بن زيد (حِبُّ رسول الله وابن حِبِّه).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
٢١ ـ معاوية بن أبي سفيان (صحابي كبير وملك مجاهد).
تأليف منير الغضبان.
٢٢ ـ عدي بن حاتم الطائي (الجواد ابن الجواد).
تأليف محيي الدين مستو.
٢٣ ـ مالك بن أنس (إمام دار الهجرة).
تأليف عبد الغني الدقر.
٢٤ ـ عبد الله بن مسعود، (عميد حملة القرآن، وكبير فقهاء الإسلام).
تأليف عبد الستار الشيخ.
٢٥ ـ معاذ بن جبل، (إمام العلماء، ومعلم الناس الخير).
تأليف عبد الحميد طهماز.
٢٦ ـ الإمام الجويني (إمام الحرمين).
تأليف د. محمد الزحيلي